

1985



جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة -

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

الرقم التسلسلي

الموضوع

الخطاب البيوإتيقي في الفلسفة المعاصرة هابر ماس أنموذجا

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إشراف الدكتور:

لصقع ربيع

إعداد الطالب:

حبيس عبد الرزاق

جامعة المسيلة		المقرر	الرئيس
جامعة المسيلة	دكتور	لصقع الربيع	المشرف والمقرر
جامعة المسيلة		المتحن	المتحن

السنة الجامعية (2021-2022)

ملحق بالقرار رقم 10221 المؤرخ في 17/02/2017
الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقة العلمية ومكافحتها



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

مؤسسة التعليم العالي والبحث العلمي: جهة محمد بوضياف - الحياة -

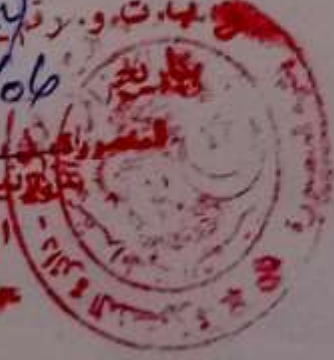
نموذج التصريح الشرفي
الخاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لانجاز بحث

السيد: **حبيبي عبد الرزاق**
الجنس: (ق) المنطقة التعريف الوطنية: 103241584
المسجل (ق) بكنية: العلوم الإنسانية والفلسفة
والمكف (ق) ببحث أعمال بحث (مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، أطروحة دكتوراه).
عنوانها: **الخطان السويديني في الفلسفة المعاصرة**
ها برمانس أنموذجاً
أصح شرفي في التزم بمواصلة المعايير العنصرية والمهنية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

التاريخ: 2028/06/08

مصادقة على التوقيع أم

توقيع المعرف (ق)
حبيبي عبد الرزاق
رقم: 103241584
2028/05/06
التصريح الشرفي
الخاص بالمضوف
عبيبي عبد القادر





كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
FACULTY OF HUMANITIES
AND SOCIAL SCIENCES

Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-DeanShip of the College for Studies and
Student Affairs

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة

وثيقة ايداع مذكرة ماستر

الموضوع: الخطاب البيورأيتي في الفلسفة العامة - هابرياسي -
أورد جا -

إعداد الطلبة:

1- حبيبي عبد الرزاق رقم التسجيل: 26 98 3371 26

2- رقم التسجيل:

القسم: الفلسفة الشعبة: الفلسفة التخصص: فلسفة عامة.
إشراف: لمصطفى الربيع الرتبة: أستاذ مساعد

أقر بأنني تابعت العمل المذكور أعلاه في جلسات إشرافية طيلة الموسم الجامعي: 2021-2022 وأسمح
بإيداعه على مستوى إدارة القسم للمناقشة والتقييم.

موافقة وإمضاء الاستاذ(ة) المشرف(ة): رئيس فريق الاختصاص

رئيس القسم

لتحميل الوثيقة يرجى مسح الرمز



أ: خشي عبد العزيز

شكرتك لله

الحمد لله الذي أعانني على إنجاز هذا البحث ، فله الشكر أولا وأخيرا على حسن توفيقه، وصلى الله عليه وسلم على عبده المصطفى الذي بذكره تتم الصالحات وبعد: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

" من لا يشكر الناس لا يشكر الله " فإنني أتوجه بالشكر لكل من كان عوناً لي في إنجاز هذا

البحث و إتمامه على هذه الصورة التي أرجو أن تكون مرضية.

وأخص بالشكر الأستاذ الدكتور " لصقع الربيع " المشرف على هذا البحث ، لما قام به من قراءة ومتابعة وتوجيه رغم ضيق وقته، وكثرة أشغاله ولما اتسم به من سعة الصدر والأفق فله منا جزيل الشكر والتقدير ، وله من الله الثواب الجزيل.

كما أتقدم بعظيم الشكر لكل الأخوة والأصدقاء الذين وقفوا بجانبني وقدموا يد المساعدة ، أثناء إعداد بحثي وأخص بالشكر الأخ والصدیق الدكتور " عمران سفيان " وكذا الأخ الأستاذ "بن الشيخ عبد العزيز " وكذا الأخ الأستاذ" ساسي لخميسي " .

ولكل من ساعدني ولو بكلمة نصح.

ختاماً نسال الله العلي القدير أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه، وأن يجعله علماً

نافعاً، ويسهل لنا به طريقاً إلى الجنة.

إِهْدَاء

إلى من بلغ الرسالة... وأدى الأمانة... ونصح الأمة...، إلى نبي الرحمة ونور العالمين.

سيدنا محمد صل الله عليه وسلم -

أهدي هذا البحث إلى الذي أعزه من كل قلبي :

إلى الذي تعلمت منه الصبر والعطاء والذي العزيز رحمة الله عليه.

أمي الحنونة رحمة الله عليها.

أهل بيتي الأحباء : زوجتي التي كانت تضيء لي الطريق ، و ساندتي في عملي هذا، أطال الله في عمرها، وأبنائي ، محمد ، عبد المؤمن.

لمن تضع له الملائكة أجنحتها رضى لما صنع ويستغفر له من في السموات والأرض

حتى الحيتان في الماء:

أستاذي لصقع الربيع و صديقي عمران سفيان بارك الله في عمرهما .

مقدمة

استطاع التقدم العلمي والتكنولوجي، في العصر الراهن أن يسجّل تسارعا لم يسبق له مثيل؛ وهو التسارع الذي ظهر في أهمّ الميادين الحيوية المرتبطة بالإنسان، على غرار الطب والبيولوجيا، إذ تمكن العلماء تحقيق مجموعة من الاكتشافات العلمية على قدر كبير من العمق والأهمية، ارتبطت بكل ما له علاقة بالتحسين؛ تحسين النسل، تحسين الغذاء، القضاء على الأمراض، إطالة الحياة، وفي الوقت ذاته أثارت التوجس والارتياح الذي تزامن مع المسألة المرتبطة بتجاوز الحدود، والوقوع في فخ الأناية وحب السيطرة، وإتباع المصالح، وتحقيق المنافع، وذلك وصل بالإنسان إلى حالة التشيؤ والاعتراب، أفرزت مجموعة من الأسئلة الأخلاقية ارتبطت بقدسية الحياة، ومكانة الإنسان وكرامته، تفكيك الأسرة، وغيرها، استلزم ذلك ضرورة المسارعة لعقلنة هذه الممارسات التقنية وكان للفلسفة دور في ذلك، الدور المنوط بالمراقبة الأخلاقية، التي عجلت بظهور فكر أخلاقي جديد، اصطلح عليه اسم " البيويثيقا " Bioethics، كفكر أخلاقي جديد حاول مسايرة هذه التحولات، وفي الوقت نفسه أثارت هذه التحولات انتباه كثير من الفلاسفة في العصر الراهن من بينهم: الفيلسوف الألماني الشهير " (يورغن هابر ماس) Jürgen Habermas الذي قدم مجموعة من الأفكار تمركزت حول نقد العقل التقني، وتبني تصورات بديلة، قامت على نظرية أخلاقية تواصلية جعلته ينخرط في الخطاب البيويثيقي المعاصر، فهل استطاعت النظرية الأخلاقية التواصلية أن تقدم حولا لمشكلات الإنسان المعاصر في ظل تقدم التقنية؟

ولعلّ هذا السؤال تتفرع عنه الأسئلة التالية :

- كيف يمكن قيام حوار عقلائي حقيقي؟ وما مدى إمكانية قيام أخلاق تواصلية؟
- وإذا كان كذلك ما هي الشروط في ذلك؟
- ما موقف هابرماس من التقنية بكلا صلتها الأدواتية والإستراتيجية؟
- وهل تمكن العقل التواصلية من حل المشكلات التي أفرزها العقل الأداتي ؟

وقد اعتمدنا في معالجة هذا البحث على المنهج التاريخي لتتبع مسار المفهومين اللذين تتمحور حولهما المذكرة من الناحية التاريخية ، والمنهج التحليلي بغية الوقوف على جزئيات وتفصيل المادة المعرفية ، والمنهج التركيبي لبلورة ما توصلنا إليه من أفكار في نتائج تمثل لب بحثنا.

وفي بحثنا هذا سنحاول تقديم إجابات لهذه التساؤلات التي اعتبرناها من أهم الدوافع التي جعلتنا نختار هذا الموضوع دون غيره من المواضيع، و كذلك توجد لدينا أسباب ذاتية وأخرى موضوعية نستطيع أن نذكر منها:
أسباب ذاتية:

-اهتمامنا بمواضيع معاصرة أنها في قلب الأحداث اليومية التي نعيشها وهي من واقع الحياة المعاصرة

-اهتمامنا الشديد بالفيلسوف يورغن هايرماس المعاصر الذي خصص العديد من أبحاثه لدراسة التقنية.
أسباب موضوعية:

إن المشاكل التي طرحتها الثورات العلمية التي أنتجت العديد من الدراسات التي تطالب برد الاعتبار للكائن البشري وحفظ كرامته، وعدم المساس بحقه الطبيعي والمتمثل في حرية الاختلاف ومن ابرز المباحث الفلسفية التي عنيت بهذا الموضوع نجد البيوا تيقا التي من خلالها يسعى أعلام الفكر البيوإتيقي وضع أخلاقيات جديدة تساير مستجدات العصر وتواكب التطور التقني.

بالإضافة إلى ذلك فان البيوإتيقا من المواضيع الحساسة التي عالجت تطورات التقنية واندماجها مع الأخلاق ، وأيضا ولدت العديد من الجدالات حولها.

ولدراسة هذا الموضوع وضعنا خطة تتكون من مقدمة وثلاث فصول وخاتمة.

تناولنا في المقدمة إحاطة بالموضوع ثم طرح الإشكالية وبعدها ذهبنا إلى أهم الأسباب التي أدت بنا إلى اختيار الموضوع.

الفصل الأول الذي عنوانه بـ < التقنية والبيوتيقا بين المفهوم والتطور الكرونولوجي > وقسمناه إلى مبحثين وتحت كل مبحث توجد عناوين جزئية، فالمبحث الأول يحتوي على عنوان وهو مفهوم التقنية والبيوتيقا وتناولنا فيه مفهوم المصطلحين من الناحية اللغوية والاصطلاحية.

أما المبحث الثاني فكان عنوانه التطور الكرونولوجي للمصطلحين ، متتبعين المسار لكل من المصطلحين.

وتطرقنا بعدها إلى **الفصل الثاني** الذي عنوانه (الفلسفة الأخلاقية عند هابرماس) و قسمناه إلى ثلاث مباحث وتحت كل مبحث توجد عناوين جزئية انصب اهتمامنا في المبحث الأول على **أخلاق المناقشة *éthique de la discussion*** حيث حاولنا إبراز الأساس الأخلاقي عند هابرماس و المتمثل في الحوار و النقاش إلى جانب شروط صحة الخطاب الأخلاقي من خلال مقارنته بالمذهب الكانطي لنكتشف مدى تجاوز هابرماس لكانط في النظرية الأخلاقية التي شكلت هاجس هابرماس ، و لما كانت اللغة هي القاسم المشترك بين برامج هابرماس جميعاً ،أما المبحث الثاني فكان عنوانه " هابرماس و التأسيس لأخلاق الجنس البشري " وفيه تطرقنا إلى قضية جوهرية يرافع لأجلها " هابرماس "وهي ضرورة الانتقال بالأخلاق إلى فضاء جديد هو فضاء النوع البشري، أما المبحث الثالث فعنون ب : "الأخلاق و التواصل "وفيه وضحنا كيف أن الأخلاق مع " هابرماس " تستند وتتأسس على أرضية تواصلية عقلية (العقلانية التواصلية).

أما **الفصل الثالث** الذي عنوانه (من الأخلاق إلى البيوتيقا عند هابرماس) و قسمناه إلى أربع مباحث و تحت كل مبحث تود عناوين جزئية ،انصب اهتمامنا في المبحث الأول على "هابرماس و سؤال التقنية" في حين المبحث الثاني كان تحت عنوان " علاقة التقنية بالبيوتيقا "،أما المبحث الثالث كان يحتوي على عنوان " مستقبل الطبيعة البشرية" و أخيرا المبحث الرابع فكان عنوانه "التفكير ضد هابرماس".

وتضمنت الخاتمة أهم النتائج، والتوصيات كما شملت القائمة البيبليوغرافية جميع

المصادر، والمراجع المعتمد عليها في إنجاز هذه الدراسة، و أخيرا فهرس الدراسة.

أما من ناحية الصعوبات والعوائق التي واجهتنا فتمثل بالأساس في اللغة، فهابر ماس فيلسوف ألماني يكتب بالألمانية وكتابه تترجم إلى الفرنسية ثم تصلنا من الفرنسية إلى العربية، وواجهنا عائق آخر وهو ندرة الدراسات وكذا المشتغلين على موضوع البيوانثيقا.

أما من ناحية الأفاق المرجوة من بحثنا هذا فتمثل بالأساس في الانتقال بالتفكير الفلسفي إلى مواضيع مستجدة تمس حياة الإنسان اليومية، وهذا من خلال كسر تلك الحواجز أو الطابوهات التي تمنع الخوض في مواضيع لأسباب أيديولوجية. فالذي نصبوا إليه هو الانتقال بالأخلاق إلى فضاء جديد أغفله المشرع عندنا، فضاء نحن مدفوعين إليه شئنا أم أبينا.

الفصل الأول

البيوتيقا بين المفهوم و التطور الكرونولوجي

المبحث الأول : مفهوم البيوتيقا و التقنية

المطلب الأول : مفهوم التقنية

المطلب الثاني : مفهوم البيوتيقا

المبحث الثاني : التطور الكرونولوجي للمصطلحين

المطلب الأول: تطور التقنية

المطلب الثاني: تطور البيوتيقا

المبحث الثالث: تطبيقات الثورة البيولوجية

المطلب الأول: الهندسة الوراثية

المطلب الثاني: علم الأجنة و تقنيات الإنجاب الحديثة

المبحث الأول : مفهوم التقنية و البيوتيقا

تمهيد:

يشهد عصرنا تطورا للعلوم بمختلف أشكالها و السبب الرئيسي وراء هذا التطور هو ظهور التقنية التي أدت إلى ازدهار العلوم، بفضل الإضافات و التعديلات التي أضافتها التقنية على هذه العلوم لذلك السؤال المطروح : ما مفهوم التقنية والبيوتيقا لغة و اصطلاحا ؟

المطلب الأول: مفهوم التقنية:

و هنا سنحاول الوقوف على التقنية من الناحية اللغوية و الاصطلاحية.

1.1 لغة:

يعرفها أندري لالاند من خلال قوله:

تقني (فني، علمي، صناعي)

وهي كل ما يتعلق بالطرق الفنية العلمية أو الصناعية.

أطلق اسم تربية تقنية على التربية التي تسمح لكل فرد بأن يقوم بمهمته على أفضل وجه ممكن.

تعود أهمية العلوم التقنية و تنميتها إلى شتى خصائص حالة الأمم المتحضرة و لا تعود إطلاقا إلى الأهمية و المرتبة الفلسفية للعلوم التنظيرية التي ينبغي إلحاقها به.

يرى منتريه أنه يلزم التفريق إجمالاً بين ثلاث أصناف من التقنيات:

1-التقنيات بالمعنى الحقيقي (صناعة).

2-التقنيات البشرية الماعون الأخلاقي الاقتصادي السياسي.

-تقنيات الفنون الجميلة.وتتسم التقنيات كلها بأنها جماعية و تقديمية وأن كل علم ينحدر من تقنية سابقة.¹

و يعرفها جميل صليبا بقوله:

التكنولوجيا علم التقنيات و هو يدرس الطرق التقنية من جهة ما هي مشتملة على مبادئ عامة أو من جهة ما هي متناسقة مع تطور الحضارة و أهم المسائل التي يبحث فيها هذا العلم ثلاث:

- 1- وصف الفنون الموجودة في زمان معينو في مجتمع معين وصفا تحليليا دقيقا.
- 2- البحث في شروط كل مجموعة من القواعد الفنية و قوانينها لمعرفة أسباب إنتاجيتها العلمية.
- 3- دراسة تطور الطرق التقنية في أحد المجتمعات الإنسانية أو في مجتمع إنساني عام.²

كما يعرفها إبراهيم مذكور في المعجم الفلسفي بأنها:

جملة المبادئ أو الوسائل التي تعين على انجاز شيء أو تحقيق غاية و تقوم على أسس علمية دقيقة و تختلف عن العلم من حيث أن غايتها العمل و التطبيق في حين أن العالم يرمي إلى مجرد الفهم الحالي من الفرض العلمي.³

¹ - أندري لالاند، موسوعة لالاند للفلسفة، منشورات عويدات، المجلد الأول، ط1، بيروت، 2001، صص، 141-142

² - جميل صليبا: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1986، صص 333

³ - إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983، صص 53

2.1- تعريف التقنية اصطلاحا:

تعتبر التقنية: "علم يشير إلى كل الطرق التي يستخدمها الناس في تنمية حياتهم و لإشباع رغباتهم و تطوير اكتشافاتهم في المحيط الخارجي، إذ ساهم هذا العلم في نقل الإنسان من حياة البداوة إلى حياة الحضارة و الحداثة" فقد كانت نتيجة لازمة من اجل الحصول على المأكل و المشرب و المأوى، و كذلك للتقليل من الضغوطات الجسدية بالدرجة الأولى و النفسية بالدرجة الثانية التي تواجه الإنسانية أثناء أوقات العمل.

و بصفة أخرى فإن التقنية تمثل أبعاد مسيرة التطور المعرفي و الحضاري الذي عرفته المجتمعات المتقدمة في العالم الغربي، و القائمة على العقلانية و الحرية و التقدم، خاصة منذ القرن الثامن عشر ميلادي " أي عصر الأنوار و هو بمثابة موجة من الأفكار التي نقلت الإنسان من المعرفة الأسطورية إلى المعرفة العلمية كما قال زكي نجيب محمود في كتابه المنطق الوضعي: "إذا كانت النهضة الأوروبية قد جاءت بمثابة الثورة على النموذج الأرسطي في التفكير فصميم الثورة الدعوة إلى الخروج إلى الطبيعة لملاحظتها بعد أن أغمضت العصور الوسطى عيوبها و عن الطبيعة¹".

إن كل تقدم و تطور يحمل في طياته كل ما هو ايجابي و سلبي كما هو الأمر بالنسبة للتقنية، فهذه الأخيرة قد شكلت للإنسانية مشروع ذو بعدين يمكن وصفهما بالبعد الايجابي و الآخر بالسلب، فهناك من المجتمعات من تقبلتها بالشكل الايجابي و جعلت منها مصدر للتطور و الرقي و الازدهار في جميع المجالات و هناك من وقف بشكل مضاد لها و اعتبروا أنها وسيلة للسيطرة و الهيمنة و القضاء على ما يسمى باليد العاملة: "أنها علم يخدم الطبقة الرأسمالية بالدرجة الأولى لإضعاف قوة الطبقة العاملة التي تعمل من اجل الاشتراكية و أصبح الإنسان أسيرا لها". و منه فالتقنية ليست خيرا أو شرا، ومن جهة أخرى يمكن

¹ - كمال بومنير: جدل العقلانية في الفلسفة النقدية لمدسة فرانكفورت، نموذج هيربرت ماركيز، الدار العربية للعلوم، منشورات

اعتبار أن التقنية هي نتيجة انقلاب الإنسان على الطبيعة من خلال التغيرات و التعديلات التي أضافها عليها ، و قد شملت جميع مجالات الحياة البشرية مثل استخدامنا للأجهزة الكهربائية في المنزل و أماكن العمل و التعليم الأمر الذي جعل الإنسان خاضع تماما لها نتائجها.

كما يقول هايدغر "إن ما ندعوه تقنية الأزمنة الجديدة ليس فقط أداة أو وسيلة يمكن إن يكون الإنسان اليوم سيدها أو ذاتها الفاعلة فقبل ذلك و فيما وراء هذه الوضعيات الممكنة نرى أن هذه التقنية هي نمط تأويل العالم ثم إقراره من قبل نمط وسائل المواصلات ، و التزود بالمواد الغذائية و صناعة المسليات بل يحدد كل موقف للإنسان في إمكانيته الخاصة أي نمط يسم بما يسمه كل قدراته على التجهيز ، و هذا ما يجعل التقنية غير قابلة للخضوع و التحكم فيها إلا عندما نخضع لها بدون شرط و بدون تحفظ".¹

و تبرز معظم تعريفات المعرفة التقنية ارتباطها بالصنع و البراعة و ليس بالمعرفة فحسب، فالتقنية تربط في غالب الأحيان بكلمة **erga** أي العمل و هي كلمة واسعة الدلالات تترجم بشكل فضفاض إلى الأفعال **acts** و الأعمال **works** و نتائج **results** و في بعض الأحيان تعد من المصطلحات الملازمة للكلام **logon** المجرد، في مقابل الحقائق ، و عند أرسطو تعد التقنية مكافئة للعادة المنتجة **exis poulitike** و هي منتجة من حيث أنها تأتي إلي الوجود بشيء غير واجب الوجود أي ليس ضروريا ، و لا يوجد في الطبيعة أي شيء يعتمد وجوده على الصانع (التقني). و ذلك يتضمن إنتاج غير الملموس كالصحة للطبيب و الإقناع للخطيب و البرهان الرياضي.² قد ورد في محاوره جورجياس لأفلاطون حيث يفضل سقراط التقنية الحقيقية في مقابل الزائفة عن العمل و الممارسة و حتى الخبرة و يؤكد بالأحرى على أهمية العقل الذي ينظر إليه، أساسا بوصفه

¹- كمال بومير، جدل العقلانية في الفلسفة النقدية لمدرسة فرانكفورت ، مرجع سابق، ص59

²- سيرافينا كومو: التقنية و الثقافة في العصور القديمة، ترجمة مصطفى قاسم، مكتبة مؤمن قريش، ط1، أبوظبي، 2012، ص26

معرفة الأسباب المتعلقة بمجال معين من مجالات النشاط كذلك امتدح أفلاطون التقنيات التي تقوم على التفكير الرياضي و من هنا فإن أرسطو و أفلاطون قد جعلوا الأولوية للمستخدم أكثر من الصانع.¹

و يعود تاريخ التقنية إلى حركة التطور في البيئة التي يعيش فيها الإنسان في القديم، و لقد ظهرت أهم الاختراعات التقنية في العصور القديمة في منطقة الشرق الأدنى و الجزء الشرقي من البحر الأبيض المتوسط، حيث لجأ الإنسان إلى استغلال كل ما يحيط به من اجل استمرار حياته فقد كان بحاجة إلى المأكل و المشرب و هذا ما دفع به إلى صناعة الأدوات التي تضمن له استمراره و بدأ بالحجارة فصنع منها النصال و السكاكين و المحافر و كمثال على هذا فقد كان الإنسان يعيش في الجزر و قرب الأنهار و كان بحاجة لوسيلة تنقله من ضفة إلى ضفة مقابلة لها و من هنا نتج عنه صناعة الزورق ، ثم طوره إلى قارب إلى أن صنعت السفن ، و من هنا تطورت التقنيات البحرية ، و ظهر أسلوب جديد في الحياة و خطى فيها الجنس البشري خطوة أخرى نحو تطور المدينة حيث بدأ باستخلاص النحاس و صناعة السبائك النحاسية، إضافة إلى ابتكارات جديدة ،صنع الآلات و تشيد المصانع و من هنا بدأت التقنية طريقها في السيطرة على الفرد و تشكيل البعد الواحد في ذاته و عقلانيته.²

و من هنا يمكن القول أن التقنية هي عبارة عن:

- 1- علم متسق بذاته و يهدف إلى تغيير الحياة الإنسانية.
- 2- علم تطبيقي يجسد المعرفة على الواقع أي تحويل الفكرة إلى إبداع واقعي.
- 3- علم يستهدف الطبيعة و الإنسان.

¹ - مرجع نفسه، ص ص 27.28

² - هنري هودجر: التقنية في العالم القديم، ترجمة رندة قاقيش، دار العربية للتوزيع و النشر، عمان، 1988، ص ص 17.09

4- علم قابل للتطوير و التجديد و غير قابل للتراجع.

5- علم يهدف لإيجاد حلول لمعاناة البشرية (الأمراض المزمنة) .

6- علم يعمل على تطوير الحضارات الإنسانية في الحياة الحضرية.

7- علم تتحكم فيه طبقة معينة أي الطبقة الرأسمالية البرجوازية.

8- علم ذو بعدين و قابل للنقد بالسلب أو الإيجاب كونه يعمل من جهة على ترقية الإنسانية و من جهة أخرى فهو يعمل على تدميرها من خلال استخدامها في مجال الكيمياء و الفيزياء كالقنابل و الأسلحة النووية

المطلب الثاني: مفهوم البيوتيقا

لقد عبر التحول المعاصر في التقنية عن تحول في النظرة إلى الجسم الذي كان ينظر إليه على انه موجود مادي له بداية و نهاية يتوسطها ضعف ووهن إلى القدرة على التحكم فيه و بتحديد و تعديل إمكانياته ،ذلك إن التقنيات الطبية الجديدة عدلت كل الحدود التي كان يحيا فيها الجسم الإنساني ،فرزع الأعضاء و التناسخ مثلا كرس عقيدة جديدة يمكن تسميتها بعقيدة تناسخ الأجسام لذلك تظهر لنا البيوتيقا كتفكير أخلاقي جديد في هذه الموضوعات و غيرها ،و يعد ضبط دلالة مصطلح البيوتيقا أمرا ضروريا لفهم طبيعة المسائل و الإشكاليات التي تطرحها ،و من ثم نستطيع القول "إن البيوتيقا ظاهرة منحدره من ثورتين : اجتماعية و بيوتكنولوجية" إن تطبيق تقنيات متطورة في الطب و البيولوجيا، نظر إليه من جهة على انه تقدم غير مسبوق في ميدان دراسة الكائن الحي و الجسم الإنساني خصوصا لكن نظرا إليه من جهة على انه تدخل في الخصوصية الإنسانية و هذا ما ترتب عنه ظهور مشكلات أخلاقية جد معقدة ،حيث أدت هذه التطورات الحاصلة إلى ظهور مبحث فلسفي جديد يسمى بالبيوتيقا فما الذي يعنيه هذا المصطلح؟¹

¹ - حسن مصدق، آخرون: البيوتيقا و المهمة الفلسفية، الرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة ،دار الأمان،بيروت،2014،ص

1-2 البيواتيقا لغة :

هي كلمة مركبة من مقطعين الأول Thos يونانية و التي تعني عرف ، تقاليد أما المقطع الثاني فهو Bios و التي تعني حيوي ، و أصبح المركب يعني bioethics بالانجليزية أما بالفرنسية bioethique و هذا ما تدل عليه كلمة البيواتيقا في المعنى اللغوي.¹

2.2- البيواتيقا اصطلاحا:

أما من حيث المعنى الاصطلاحي لهذا المفهوم ، فقد ظهر مصطلح البيواتيقا سنة 1970 في مقال للمتخصص الأمريكي في أمراض السرطان "فان راسلاير بوتر" و ذلك في مقال له بعنوان bioethics thesciences of suruval البيواتيقا علم البقاء على قيد الحياة ، إن الذي لفت انتباه هذا العالم الأمريكي و غيره في ذلك الوقت هو التفاوت الواضح بين التقدم الحاصل في ميدان التقنيات الطبية و الفكر الأخلاقي الذي من المفروض أن يواكب أبعاد التقنيات ، إن موضوع هذا المبحث الجديد هو القضايا الأخلاقية التي افرزها التقدم الحاصل في ميادين الطب و البيولوجيا "و ما يرتبط بها من قضايا أخرى قانونية و أخرى دينية و فلسفية و اقتصادية و بيئية." بمعنى انه مبحث جاء لضبط تلك الممارسات اللاأخلاقية في ميدان البيولوجيا بما في ذلك الإنسان باعتباره كائن مقدس أما غايته فهي اقتراح المبادئ الأخلاقية التي يجب ان تنظم ممارسة الأطباء و العاملين في ميدان الصحة و الأبحاث العلمية في الطب و البيولوجيا إلا أن البيواتيقا لا تسعى إلي التنظير إلي ما ينبغي أن تكون عليه الدراسة العلمية للجسم و الممارسة التقنية المترتبة عنها فقط و إنما

¹ - فوزية علوان ، سلمى برحايل : قراءة القراءة في الأخلاق العربية عبدا لحليم عطية نموذجاً ، كرسي اليونسكو للفلسفة ، جامعة

تتناقش النتائج السلبية المترتبة عن هذه التحولات خصوصا مفهوم الإنسان و مكانته و كرامته ، و المهم أن البيواتيقا تعبر عن رهن الفكر الفلسفي.¹

و قد ورد تعريف البيواتيقا في العديد من الكتب مثلا كتاب ل"جاكلين روس"² الفكر الأخلاقي الجديد" يوضح بأن البيواتيقا علم معيار يهتم بالسلوك الإنساني الذي يمكن قبوله في إطار القضايا المتعلقة بالحياة و الموت و هو يجمع بين تخصصات متعددة تهتم بالشروط التي تتطلبها الحياة الإنسانية في الإطار الحالي لتقدم العلوم و المعارف و تقنيات الطب و البيولوجيا، و البيواتيقا حسب جاكلين روس هي التعبير عن مسؤولياتنا عن الإنسانية الحالية و المستقبلية.²

المبحث الثاني: التطور الكرونولوجي للمفهومين

المطلب الأول: تطور التقنية:

يعتبر لفظ التقنية من أكثر الألفاظ استخداما في عصرنا الحالي، و يبدو انه بقدر ما يزداد شيوع استخدام اللفظ السابق الذكر بقدر ما يزداد الغموض و اللبس اللذان يكتنفانه.

و تذكر الكتب التي تعنى بالتقريب في تاريخ الفكر الإنساني " أي عرض لتطور التقنية المبكر ، لا بد أن يشبه قطعة نسيج مرقعة رثة الحال، و قطعة النسيج تلك لن تكون غريبة الهيئة و الألوان فقط ، و لكنها ستكون كذلك مليئة بالثقوب ، و اللوم في هذه الحالة لا يقع كله على المؤلف ، لأن المصادر التي يستقي منها المعلومات غالبا ما تكون شذرات ، و هي عادة لا تفي بالغرض ، و غالبا ما تكون مضللة..."³.

¹- حسن مصدق ، و آخرون: البيواتيقا و المهمة الفلسفية ،مرجع سابق،ص207

² - أحمد عبد الحلیم عطية:الأخلاقيات الطبية و الحيوية ،أوراق فلسفية ،العدد السادس و الثلاثون،القااهرة،2013،ص27

³ - هنري هودجر ، التقنية في العالم القديم، مرجع سابق ،ص9

لقد اكتسب لفظ تقنية الكثير من المطاطية، أي يتشكل حسب المجال الذي يستخدم فيه، و دلالات مختلفة عبر العصور، فمصطلح "تقنية" ليس مصطلح جديد ينتمي إلي الحقبة الحديثة أو المعاصرة، بل هو مصطلح قديم تمتد جذوره التاريخية إلي ما قبل التاريخ.

فما هي هذه المراحل التي مر عليها؟

أ- في العصور القديمة:

إن التكنولوجيا موجودة منذ أن وجد الإنسان، فهذا الأخير من بين كل هذه المخلوقات و منذ أن وجد في هذا الكون و هو في حروب مستمرة مع الطبيعة ، بغية السيطرة عليها و إخضاعها ، تسييره في ذلك غريزة "حب البقاء"، و سعيه المستمر لتحسين وضعه المعيشي و الفكري و خلق درجة من الاستقرار و الأمان و "التكنولوجيا لا تأخذ إطارها الكامل إلا مع الإنسان لأنه الوحيد من كل المخلوقات الذي يمكن أن يكون مخترعا و مبدعا، و ليس فقط مقلدا، فالإنسان يتكيف مع كل شيء...فتفوق الإنسان في مجال التكنولوجيا يكمن في التنسيق بين العقل و اليد...يجعل تحويل المادة إلي أدوات أمرا ممكنا.¹

و في البداية لم تكن محاولة الإنسان تسخير الطبيعة و اختراع الوسائل و الأدوات نتيجة لترف ذهني، أو لإشباع فضول عنده ، و إنما جاءت انطلاقا من مبدأ الحاجة أما الاختراع فقد كان يتوجب على الإنسان الأول أن "يضمن بقاءه في عالم غريب و عدواني، و هذا ما يؤكد تاريخ التكنولوجيا الذي وضح أن تدرج الإنسان في هذا المجال كان أكثر من أي مجال آخر ، و هكذا يبدو أن الإنسانية سعدت سلم الحضارة درجة درجة.²

فقد كان الإنسان الأول واقعا ، و براغماتيا و في ظل صراعه من اجل البقاء و الاستمرار اخذ يستخدم ما توفر لديه من اجل صنع الأدوات التي تساعده على الإنتاج و تزيده

¹- أنطونيس كرم:العرب أ مام تحديات التكنولوجيا ،مرجع سابق ،ص13

²- مرجع نفسه ،ص13

قوة، فاستخدم الحجارة و بالأخص الصوان و العظام و الخشب ، ليكون ما في جعبته الأولى من تكنولوجيا¹.

و يعتبر اكتشاف الإنسان للنار قبل حوالي نصف مليون سنة دليل على موهبته الفريدة في استغلال الفرص التي تبرز أمامه، فالإنسان اكتشف النار و من «المرجح أن دهن الحيوانات كان يستعمل كوقود لإشعال المصابيح، بينما استعمل حبال ليفيا من نسيج جاف كفتيل»².

و كما جاء على لسان أحد العلماء قوله بأن "سيطرة الإنسان على النار لتحوي في ثناياها كل التقدم البشري في مجال التكنيك: من طهارة، إلي صناعة معادن إلي خلق حياة اجتماعية لكون النار مصدر للنور أيضا. إلي حماية الإنسان من الحيوانات الكاسرة"³.

و قد تمكن الجنس البشري قبل حوالي عشرين ألف سنة أن يوفر لنفسه مجموعة متواضعة من الأدوات التكنولوجية البسيطة ، و على الرغم من هذه التحسينات الهامة و التي تعتبر بعضها كالنار و الإبرة بمثابة ثورة تكنولوجية من الطراز الأول ، هذه التحسينات تأتي بشكل متقطع بين الواحدة و الأخرى ، مئات بل آلاف السنين.

العصر الحجري الجديد:

فقد شهد أهم الانجازات التكنولوجية في كل الصور، حيث " بدأ إنتاج الغذاء و تخزينه مع إدراك بعض طرائق تدجين الحيوانات ، و آليات الزراعة ، و زراعة بعض المحاصيل ، (و هي قليلة العدد مقارنة مع كل النباتات و كائنات الأرض التي لا تصلح قوتا للإنسان) فقد بدأ التدخين منذ حوالي خمسة عشرة ألف سنة ، و الزراعة في الألف الثامن قبل الميلاد في منطقة الهلال الخصيب ... و توالت اكتشافات و اختراعات مهمة

¹ - المرجع سابق، ص ص 13.14

² - هنري هودجر ، التقنية في العالم القديم ، مرجع سابق، ص 31

³ - أنطونيس كرم ، العرب أ مام تحديات التكنولوجيا ، مرجع سابق ، ص 14

في تاريخ الإنسانية ، مثل اختراع المحراث منذ ثمانية آلاف سنة ، و اختراع الدولاب في منطقة البحر الأسود ، في الألف الرابع قبل الميلاد، و اكتشاف البرونز أيضا (3300 ق م) ، في منطقة الهلال الخصيب و سميت تلك الحقبة بالحقبة البرونزية ... و اكتشاف الحديد في القرن الخامس عشر قبل الميلاد ... سمح بانتشار الأدوات الحديدية و مهنة الحدادة.¹ و لقد دل اكتشاف كل من الحديد و البرونز على دخول الإنسان عصر جديد.

2.العصر البرونزي و الحديدي:

إن هذين العصرين: البرونزي و الحديدي لم يشهدهما الجنس البشري ككل ، فقد بقيت شعوب و مجتمعات بأكملها تعيش في العصر الحجري و لم يتطور فيها التعدين و لا الزراعة و بعضها تأخر لمدة قرون عن استخدام المعادن ، مثلما كان الحال في أوربا و القبائل الجرمانية لم تدخل العصر البرونزي حتى ما بين القرنين العاشر و الخامس قبل الميلاد.²

ب-الفلسفة اليونانية:

لقد بدأ التفكير العلمي المنتظم على المستوى النظري التجريدي مع الإغريق ، فهم من ابتدع علم المنطق ، كما كانت لهم القدرة على التجريد و التخيل و التعميم ، لم تعرفه الإنسانية من قبل ، و هذا ما أدى إلي إطلاق صفة .المعجزة .على ما حققه اليونانيون من انجازات خارقة في مجال العلوم النظرية.³

لكن هذه الانجازات على مستوى التفكير المجرد ، لم تقابلها انجازات مماثلة على المستوى العلمي، أي على مستوى التكنولوجيا . و هذه الفجوة الهائلة بين المستويين ترجع لعدة أسباب لعل أهمها :

¹ -نورالدين شيخ عبيد: التقانة مقارنة ثقافية و اجتماعية، العدد الاول ،المجلد4، يوليو/سبتمبر 2011، عالم الفكر ،الكويت، ص223

² -نورالدين شيخ عبيد، التقانة مقارنة ثقافية و اجتماعية ،مرجع سابق ،ص223

³ -أنطونيوس كرم ، العرب أمام تحديات التكنولوجيا ، مرجع سابق ،ص17

- ميل اليونانيين للعلوم بسبب نظرتهم الدنية. الفنية القائمة على البحث عن الحب و الجمال التي تعبر عن صفاء الفكر و اقتراب الإنسان من الحكمة الإلهية.
- بالإضافة إلي بنية المجتمع اليوناني الطبقيّة الأمر الذي خلق من المفكرين (الطبقة الارستقراطية) المفكرة التي تحقّر الأعمال اليدوية و النشاطات المهنية المختلفة، خصوصا ما يتعلق منها بالتكنولوجيا، فتوفر العبيد بكثرة لم يكن من شأنه أن يحث علماء اليونان على الاهتمام بالآلة و إمكانية إحلالها مكان الأيدي العاملة، و سنحاول هنا الوقوف على بعض ما قدمه علماء و فلاسفة اليونان في حقب مختلفة.

1-أرخميدس(المتوفى سنة 212ق م)

يعد العالم اليوناني الشهير "أرخميدس" من بين صناع بعض الآلات ، التي تسير بطريقة أوتوماتيكية ، من اجل الترفيه و تسليته على أنها لعب يلهو بها الإنسان ، و رغم ذلك فإنه كان يخجل من الإشارة إلي ما أنجزه في أبحاثه ، لأنه و كما تمت الإشارة من قبل ، لم يكن المجتمع اليوناني يستعين بها في العمل البشري الجاد.¹ بسبب اليد العاملة. طبقة العبيد...و على الرغم من تمكن "أرخميدس" من صنع مخترعات آلية عجيبة مثل : استحدثاته آلات حربية للدفاع ، عن "سيراكروز ضد اليونان" إلا أن البعض ليكاد "يأسف على اشتغال" ارخميدس " بالمخترعات الآلية التي قد لا تليق بالسادة."² و من الملاحظ أن الإغريق دأبوا على تمجيد النظر (التأمل) و تحقير العمل و هذا ما عبر عنه "أرسطو" عندما قال : "بأن العبيد مجرد آلات حية لخدمة السادة الأحرار المتفرغين لممارسة فضيلتي التأمل و الصداقة".³

¹-فؤاد زكريا :التفكير العلمي،عالم المعرفة ،الكويت،ط1978،1،ص133

²-برتراند راسل:النظرة العلمية ،ترجمة عثمان نوبة،دار المدى للثقافة و النشر، دمشق،سورية،ط2008،1،ص15

³-يميني طريف الخولي:فلسفة العلم في العشرين،عالم المعرفة،ط2000،1،ص36

-أفلاطون (427-347 ق م):

في محاوره "جوجياس" ل" أفلاطون" يميز "سقراط" بين "التقنية الحقيقية" و "التقنية الزائفة"، فالأولى قائمة على اللوغوس (logos) أي العقل، أما الثانية ترتبط بالعمل (pragmata) و الممارسة (tribe).

و لقد امتدح "أفلاطون" التقنيات التي تقوم فيها الممارسة على التفكير الرياضي، و العلاقات التراتبية التي تتناسب فيها قيمة التقنية مع درجة تجريدها. و الطبيعة قد أهلت العبيد كما يعتقد "أفلاطون" للقيام بمهمة العمل.¹

و يبرر "أفلاطون" نظام العبودية طبيعيا و اقتصاديا حين يقول: "بأن هناك فئة من الناس لا يؤهلها حظها من العقل، أن تكون عضوا في جماعة سياسية أي في الجماعة السياسية أي أن تخل طائفة المواطنين الأحرار، و لكن قدراتها البدنية تؤهلها للأعمال الشاقة".²

و في محاوره "فيليبوس" يري "أفلاطون" أن فن البناء يوظف مقاييس و أدوات، و لذلك يبلغ درجة كبيرة من الدقة تجعله "أكثر تقنية" مثلا من الطب الأبوقراطي لان استخدام القياسات الكمية فيه كان ضئيلا و محل جدل.

أما في محاوره "الجمهورية" فإن "أفلاطون" و هو بإزاء تصنيف المعرفة التقنية يميز بين "تقنية المستخدم"، و "تقنية الصانع"، و "تقنية المقلد" و هو ينتقد هذه الأخيرة و يضعها في المرتبة الدنيا، كما يضع الصانع في مرتبة ادني من المستخدم، ليحتل هذا الأخير الصدارة بين الثلاثة، و يعتبر "أفلاطون" الفرق بين المستخدم و الصانع كالفرق بين عازف الناي و صانعه.³

¹-سيرافينا كومو، التقنية و الثقافة في العصور القديمة، مرجع سابق، ص ص 27.28

²-عزت قرني: الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون، جامعة الكويت، ط1، 1993، ص 169

³-سيرافينا كومو، التقنية و الثقافة في العصور القديمة، مرجع نفسه، ص 28

و يشير "مارتن هايدجر" في كتابه " التقنية، الحقيقة، الوجود" إلي أن كلمة " تقنية" و إلي غاية حدود فترة "أفلاطون" كانت مرتبطة بالكلمة "أبستينون" و التي تعني العلم أو المعرفة فالاثنتان .تقنية ، أبستينون . اسمان للمعرفة بالمعني الأوسع.¹

ج- في العصور الوسطى

سنحاول من خلال هذا العنصر الوقوف على مرحلة متميزة مرت بها التقنية في مسارها التاريخي معتمدين في هذا التقسيم على الجانب الديني و لهذا نتساءل :

ما هي أبرز التقنيات التي تمكن المسيحيين و المسلمين من بلوغها و اكتشافها؟

1. في المسيحية:

لقد حمل العرب لواء المدنية طوال عصور الظلام ،و إليهم يرجع الفضل في تحصيل بعض المسيحيين أمثال "روجر بيكون" ، على المعارف العلمية التي تهيأت للشطر الأخير من العصور الوسطى.²

و قد كان "جاليلو(1524.1642) ، و معاصره "كبلر"(1530. 1571) ، هما من أثبت أن الأرض و غيرها من الكواكب تدور حول الشمس.

و لقد تمكن "جاليلو" من صنع منظار مقربا ، و دعا الأساتذة الذين كانوا يحاضرون معه إلي النظر من خلاله إلي أقمار عطارد ،لكنهم رفضوا ، لأن "أرسطو" لم يذكر هذه التوابع و من ظن أنه رآها فهو خاطئ لا محالة.

¹-مارتن هايدجر :التقنية.الحقيقة.الوجود،ترجمة محمد سبيلا و عبدا لهادي مفتاح،المركز الثقافي ،بيروت

،لبنان،(د،ط)،(د،ط)،ص53

²-برتراند راسل ، النظرة العلمية ، ترجمة عثمان نويه، مرجع سابق ، ص17

و في عام 1632 أصدر كتاب "محاورات تدور على نظامي كوبرنيك و بطليموس"، حيث أثار هذا الكتاب غضب "البابا" لأنه يتنافى مع تعاليم الكنيسة المقدسة ، التي ترفض أن تكون الشمس في وسط الكون لا يتحرك ، و أن الأرض تتحرك و في حركة يومية. و لقد تمكنت الكنيسة من: "حجب ظهور حقائق "غاليلو " تلك القليلة المدعمة بالدليل، لآلاء تلك الأفلاك من معارف العصور الوسطى".¹

إذا و على العموم فإن العصور الوسطى الأوروبية لم تكن فترة خمول من الناحية التقنية، وإنما ظهرت فيها مجموعة من الاختراعات ذات الأهمية البالغة ، التي يرجع إليها الفضل في انبثاق العلم الأوربي في مرحلة لاحقة، و كدليل على التطور الملحوظ الذي أحرز في هذه المرحلة نذكر: ظهور علم الميكانيكا، طواحن الهواء ، و الماء ...و غيرها من الاكتشافات.²

2- في الإسلام:

ولقد كان على العرب في ظل هذه المرحلة أن يستفيدوا من انجازات الشرق العملية ، و انجازات الإغريق النظرية ، ليتوصلوا إلي أول زواج بين العلم و التكنولوجيا ، فقد جمع علماء العرب بين التأملات النظرية و التطبيقات العملية ، و قسموا ساعات عملهم بين هذين النشاطين، و هذا ما عبر عنه الكاتب الشهير "ر، ج ، فورس" بأن " العرب حتى عندما لم يكونوا الرواد لبعض الاختراعات (كالبوصلة ، البارود)، فقد كانوا يملكون عينا مدركة لأهمية هذه الاختراعات ، و لم يترددوا في تبينها ، و غالبا قبل أن تكون أهمية هذه الاختراعات قد برزت في بلدان مخترعيها.³

و من ابرز الذين جسدوا هذا الجمع بين المد النظري و التطبيقي القائم على منهجية تجريبية مبدعة نذكر: " جابر بن حيان" في الكيمياء و "الكندي" في البصريات و في دراسة

¹ - بر تراند راسل ،مرجع سابق ، ص 29

²-فؤاد ز كريات ، التفكير العلمي، مرجع سابق ،ص 136

³- أنطو نيس كرم، مرجع سابق ،ص18

طرق إنتاج الفولاذ و الأسلحة النارية ، و "الرازي " و "ابن سينا" في الطب ، و في مجال البصريات و الفيزياء برز "ابن الهيثم" ، فلقد طور هؤلاء العلماء هذه العلوم و غيرها معتمدين في ذلك على منهجية علمية ، لا تختلف عن تلك التي أنتجتها أوروبا في نهضتها في العصور الوسطى ، كما استطاعوا أن يبدعوا وسائل و أدوات تكنولوجية هامة و مخبريه و ميدانية لاختيار صحة نظرياتهم و نظريات غيرهم من العلماء، كما ساهموا في تطوير طرق الري ، و في استخدام الطاقة المائية (الطاحونة المائية)، و طاقة الرياح (الطاحونة الهوائية) ، و التي تبنتها أوروبا في مرحلة لاحقة ، بالإضافة إلي ذلك أبدع العرب في تكنولوجيا صناعة الخزف و الزجاج الملون ، و كانوا أول من اكتشف طريقة لتكرير السكر ، كما كانوا السباقين لاختراع المنجنيق و الأبراج المتحركة.¹

لكن العصر الذهبي للعلوم و التكنولوجولوجيا و الذي عرف تطورا و ازدهارا كما عبر عنه "برتراند راسل" في قوله: "في العصور الوسطى المظلمة كان العرب هم الذين يقومون بمهمة تنفيذ التقاليد العلمية أما المسيحيون أمثال "روجر بيكون" فقد اكتسبوا منهم إلي حد بعيد ما اكتسبوه من معرفة علمية حازتها العصور الوسطى اللاحقة."²

أخذ يميل نحو الانحسار في نفس اتجاه الحضارة العربية برمتها فالتفكيك الداخلي و الحروب الأهلية و هجمات التتار و المغول و الأتراك و الصليبيين كلها اتحدت في وقت واحد ، لانتزاع الشعلة الحضارية من أيدي العرب لتضعها في الأيدي الأوروبية.

¹-أنطونيوس كرم ، العرب أمام تحديات التكنولوجيا،مرجع سابق، ص18

²يميني طريف الخولي ، فلسفة العلم في القرن العشرين، مرجع سابق، ص37

د- في الفلسفة المعاصرة

1/ مارتن هيدغر

يرى "مارتن هيدغر" أن التقنية ليست الجانب التطبيقي العملي للمعرفة العلمية بل هذه الأخيرة هي نفسها و في جوهرها تقنية، فالتقنية مثلت في الماضي ذلك الجانب التطبيقي و العملي للمعرفة التي بلغها الإنسان ،أما اليوم فهو يرفض هذا لان المعرفة العلمية تطورت و أصبحت في جوهرها تقنية.

كما أن ماهية التقنية عند "هيدغر" الحقيقية هي الميتافيزيقا ، لان الأشياء و الأدوات و الأجهزة و الوسائل لا تعدو أن تكون مظاهر للتقنية،و من هذا يتضح أن التقنية نمط من العلاقة بين الإنسان و الوجود،و انطلاقا من الذات الإنسانية ستصبح الطبيعة مجرد مواد أولية، و من هنا فإن علاقة الإنسان بالتقنية عند "هيدجر" تتدرج فيما يسمي عنده ب:"نسيان الوجود" في الميتافيزيقا الغربية.¹

كما يرى "هيدغر" أن التقنية ليست أداة في متناول الإنسان المعاصر ، بل أصبحت تستحوذ و تسيطر عليه ، و لم يعد بإمكانه الانقلاب من حمايتها و ضرورتها، بل أكثر من ذلك سببت له التيه و عدم الاستقرار ، و أخذت تظهر له و كأنها شيء مستقل عنه، و اعتبرته مجرد دمية بين مخالب الآلات و الأجهزة ،بل إن التقنية قد حولت الإنسان إلي مجرد موظف لدى التقنية.

و هذا فإن دل فإنما يدل على أن سوء التصرف في التقنية و سوء استغلالها جعلها تفلت من قبضة الحاكم ،و تتحول من نعمة إلي نقمة ،متسببة في أزمات للإنسان الذي سعى لأجادها

¹ -صباح قارة: إشكالية تشيؤ الإنسان في الحداثة الغربية،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي،جامعة فرحات عباس

و لعل القنبلة في هيروشيما و ناكازاكي في اليابان ، و قنابل رقان في الجزائر التي لا زال يتجرع منها مواطنها الآلام و العاهات لخير دليل على ذلك، و يذهب "هيدجر" إلي أن العقل المعاصر قد شرع في الانسحاب من براءة الأرض و عذريتها لينخرط في مجال الفيزياء، هذا الأخير الذي أصبح مجالا للصراع و التملك، و حلبة تتدافع فيها إرادة القوة من اجل التحكم و الهيمنة على الأرض و الجنس البشري.¹

فعلى الرغم من كون الإنسان المعاصر اوجد العلم و التكنولوجيا ليسخرهما و يسيرهما كيف ما شاء إلا أنهما ينفلتان و يستبعدانه و كأنه مستقل عنهما ،و يحولانه إلي شيء لا يعدو أن يكون مثل مادة استهلاكية تحولها الآلة إلي قالب معين.² و هو يمثل تهديد يثقل كاهل الإنسان نفسه مما يدعونا إلي ضرورة التفكير في الطابع التقني لعالمنا المعاصر الذي أصبح عالما تقنيا ،غير أن التهديد لا يتأثر بالدرجة الأولى من الآلات و الأجهزة و الأدوات التقنية خاصة تلك التي يمكن بالفعل أن تكون قاتلة ، و إنما في ذلك الأسلوب الحسابي و النفعي من التفكير الذي يقوم على فكرة الذات بوصفها قدرات و فعاليات لها ما يمكنها من التحكم و السيطرة على كل الأشياء و الظواهر ،حيث أصبحت تخضع موضوعها لمشروع محدد الأهداف من قبل.

2-مدرسة فرانكفورت:

لقد تمكن أعلام مدرسة فرانكفورت النقدية من خلال توظيفهم لمفهوم النقد من تغيير الكثير خاصة تلك الانتقادات التي وجهها للاتجاهات ،سواء كانت المعاصرة لهم أو سابقة عليهم و هذا ما يتضح من خلال نقدهم العميق للاتجاه الوضعي حيث يعتقدون إن هذا الأخير أصبح مهيمنا بفعل النور المتنامي و التطور المتزايد للتقنية و هيمنتها على مختلف

¹ - كمال بومنيير ،النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، منشورات الاختلاف،الجزائر،ط2010،1،ص56

² -مارتن هيدجر،التقنية الحقيقة الوجود ، ترجمة محمد سييلا،مرجع سابق ،ص45

مظاهر الحياة و مجالاتها، إلي درجة أنها تحولت إلي إيديولوجية تستند إلي يقين معرفي و معتقدات إيمانية .

و يعد كل من : "هوركهيمر" و "أدورنو" و "ماركيوز" و "هابر ماس" من ابرز الممثلين لها .المدرسة النقدية. إن "ماركيوز" لا ينتقد التكنولوجيا في حد ذاتها فهي ليست أداة سيطرة و قمع ، إلا أنها موجهة توجهها سياسيا ، و لهذا فهو ينتقد التوجه السياسي الإيديولوجي الذي حولها إلي أداة للسيطرة على الإنسان المعاصر ، لذلك فالتكنولوجيا لا يمكنها أن تكون محايدة بل تخضع دوما للتوجه القائم في المجتمع ، فينتج عن هذا الارتباط القائم بين التكنولوجيا و الإيديولوجية السياسية ضمن شبكة المصالح الاقتصادية و الاجتماعية القائمة في المجتمعات المتقدمة صناعيا.

إن رؤية " ماركيوز" لا تزال تتجسد اليوم ،فالتكنولوجيا ما زالت تسيطر على الإنسان و تقهره و تزداد وتيرة هذه السيطرة يوما بعد يوما ،فعلى الرغم من كونها حققت له السير الحياة لكنها أعيت نفسه عندا قربته من الآلة و حولته إلي كائن إلي يصغي لندا التكنولوجيا أكثر مما يصغي لذاته ولبني جنسه.¹ و لهذا يري "ماركيوز" انه: "لابد من اللجوء إلي تعقيل دائم مستمر ،و لابد من استخدام التقنيات و العلوم المتقدمة استخداما منهجيا .

المطلب الثاني: تطور البيواتيقا

1- الطب عند اليونانيين القدامى وأسسها الأولى :

إن الممارسة الطبية لا تخلوا من آداب التعامل مع المريض و ذلك منذ فجر الإنسانية و هذا ما يجعل هذا الطبيب يتصف بأخلاقيات تلازم هذه الممارسة إلي يومنا هذا و قد احدث التطور التكنولوجي تغييرا على مستوى علاقة الطبيب بالمريض خاصة في ظل تطور

¹ -صباح قارة ، إشكالية تشيؤ الإنسان في الحداثة الغربية مرجع سابق ،ص125

أساليب العلاج بل أصبحت هناك قواعد و قوانين أخلاقية يجب على الطبيب التزامها هذا من جهة و من جهة أخرى فان استخدام التقنية في التعامل مع المريض أدى إلي ظهور مفاهيم جديدة مثل مفهوم البيواتيقا و سوف نحاول هنا تتبع المسار الكرونولوجي لهذا المصطلح خاصة إننا نحاول تتبعه بالدراسة من الحضارة اليونانية التي تعد أرقى و اعرق الحضارات الإنسانية ، حيث احتلت المرتبة الأولى في اعرق الحضارات القديمة و السبب راجع إلي أنها تمثل حقبة التفكير الناضج و المنظم و سنكتفي في هذا المقام بذكر أهم أعلام الطب اليوناني و أكثرهم شهرة و هما أبو قراط و جالينوس.

1.1. الطب الابيقراطي:

تعد مدرسة كوس COS ، و التي تنسب إلي أبو قراط من ابرز المدارس الطبية التي نضج فيها الطب في العهد اليوناني ، و قد عنيت هذه المدرسة بأمراض الطب العام أو ما يصطلح عليه اليوم ب الباثولوجية العامة.¹

إن أول عمل قام به أبو قراط هو فصل الطب عن الدين ، أي بناء العلاج على قاعدة ثابتة بعيدا عن الشعوذة و قد قيل إن أبو قراط أدبته الطبيعة ، أي انه تعمق في الطبيعة حتى توغل إلي قعرها ، و اخبر عما شاهده في أعماقها و لذا فقد سمي بأبو الطب لأنه اعتمد على طرق المشاهدة الطبية.

وفيما يخص فن الجراحة فقد اشتهر أبو قراط برد الخلع و جبر الكسور ، و اتخاذ الملاقط في التوليد و استخراج الحصى الطلوية بالمشق ، بالإضافة إلي فن القبالة ، و أمراض النساء فله فوائد كثيرة و رسائل.²

¹ -جورج سارطون: تاريخ العلم، ت، جورج حداد و اخرون ، ج2، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط2010، ص1، ص13

² -عيسى اسكندر المعلوف: تاريخ الطب عند الأمم القديمة و الحديثة، ط1، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، القاهرة، 2012، ص ص

و لقد عرف أبو قراط بأخلاقه الراقية كالتعامل مع المجتمع برأفة هذا فضلا عن القسم المعروف باسمه le sement dhyppocrate الذي وضعه لتحديد شروط مزاوله الطبيب لمهنته حيث يلزمه بأداء اليمين قبل الاندماج في هذا المجال ، و قسمه تركز عليه المواد و محاور أساسية من بينها الاهتمام بصحة المريض و عدم إلحاق أي ضرر به، أي وضع مصلحة المريض في المقام الأول.

- يقول البند الأول: "لن أعطي أي دواء مميت لأي شخص يطلب مني ذلك و لو اقتراح استخدامه كذلك، لن أساعد أي امرأة على الإجهاض حتى و لو كان فيه علاج لها."¹

- أما فيما يتعلق بصناعة القسم فقد قال أبو قراط "إني أقسم بالله رب الحياة و الموت ، و واهب الصحة ، و خالق الشفاء و كل العلاج ، و أقسم بأسقليبوس ، و أقسم بأولياء الله من الرجال و النساء جميعا، و أشهدهم جميعا أنني بهذا اليمين و هذا الشرط ، و أرى إن المعلم لي في هذه الصناعة بمنزلة أبائي و أواسيه في معاشي ، و إذا احتاج إلى المال وواسيته و واصلته من مالي.

و أما الجنس المتناسل منه فأرى انه مساو لإخوتي و أعلمهم هذه الصناعة إذا احتاجوا إلي تعلمها بغير اجر أو شرط ، و إشراك أولادي و أولاد المعلم لي ، و التلاميذ الذين كتب عليهم شرط أو حلفو بالناموس الطبي في الوصايا و العلوم و سائر ما في الصناعة ، أما غير هؤلاء افعله ذلك، و اقصد في جميع التدابير بقدر طاقتي منفعه المرضى أما الأشياء التي تضر فلا بهم تدني منهم بالجور عليهم ، فامنع منها بحب رأيي ولا أعطي إذا طلب مني داوا قتالا ، و لا أشير أيضا بمثل هذه المشورة و كذلك لا أرى أن أدنى من النسوة كزوجة (شيء تتداوى به النسوة) تسقط الجنين، و أحفظ نفسي في تدبيرتي و صناعتتي على الزكاة و الطهارة و لا اشق أيضا على من في متانته حجارة، و لكن اترك ذلك إلى من كانت حرفته هذا العمل، و كل المنازل التي ادخلها إنما ادخلها لمنفعة المرضى، و أن اعمل خار

¹-مرجع نفسه ، ص ص24،23 ، عيسى اسكندر المعلوف:تاريخ الطب عند الأمم القديمة و الحديثة.

جور و ظلم و فساد إرادي مقصود إليه سائر الأشياء، و في الجماع للنساء و الرجال الأحرار منهم و العبيد، و أما الأشياء التي أعانيها في أوقات علاج المرضى أو اسمعها في غير أوقات علاجهم في تعرف الناس عن الأشياء التي لا ينطق بها خارجا، فامسك عنها، و أرى أن أمثالها لا ينطق بها، فمن أكمل اليمين و لم يفسده شيئا كان له أن يعمل تدبيره و صناعته على أفضل الأحوال، و من تجاوز ذلك كان ضده.¹

إن هذا القسم يعتبر قانونا إلى يومنا هذا إذ يقسم به أي إنسان متخرج من كلية الطب.

و لقد تحدث أرسطو عن أخلاق أبو قراط في كتابه السياسة ، و يقول عنه يحي النجوى (أبو قراط وحيد دهره الكامل الفاضل المبين المعلم الذي يضرب به المثل....).²

1-2: الطب الجالينوسي:

لقد عرف عن جالينوس بأنه ذو شخصية فذة و مغرورة على الرغم من أن اسمه كان يحمل معنى و هو الهادئ و يعتبر ثاني أشهر الأطباء اليونانيين ، و بفضل الطابع الغالب على شخصيته استطاع اكتساح مجال الطب و اكتساب مكانة لنفسه فيه، و قد كان شغوفًا بالتعلم و هذا ما جعله يجول معظم دول العالم ، و قد كان حقودا و كثير الغرور و لا يبالي بمن هم سابقوه سواء كانوا من الفرق أو المذاهب التجريبية أو الدوجماتيكية و قد صنف ضمن أتباع المذهب الطبيعي.³

كان الطب هو الشغل الشاغل لدى جالينوس ، و قد بذل جهدا كبيرا في شرح كتب أبو قراط، و أهميته عبر التاريخ اكتسبها بفضل تفسيره لأشهر كتب أبو قراط.

¹ -عبدا لكافي المرعب:أبو قراط الطيب،مجلة مجمع اللغة العربية ، دمشق ،ص9-10 نقلا عن موقع نسيم الشام

² -مرجع نفسه،ص6

³ -جان شارل سورينا ،تاريخ الطب ،ت إبراهيم الحياتي المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب،الكويت،2002،ص64.65

و عرف أيضا بأنه فيلسوف .و الدليل على ذلك هو صحة ما أكده في إحدى كتبه بعبارة و هي (انه ينبغي على الطبيب أن يكون فيلسوفا).¹

بالإضافة إلى انه كان جراحا مشهورا ،و هذا الطبيب الشهير كان مناقضا لبعض من أفكار أبو قراط الذي كان شديد التفكير به ،خاصة في نظرتة إلى الجسد و الصحة و المرض فتميز بنظرة ميتافيزيقية كانت موجهة إلى الإنسان الذي اعتبره جسد خلق ليؤدي مهام عديدة و أوكلت إليه و يقوم بها على أحسن حال و لديه العديد من الأفكار فيما يخص الجسد البشري و هي المتمثلة في أن الإنسان كالألة أو كالحیوان فاعتبر أن كل عضو من أعضاء الجسد الإنساني يشغل بحسب المزايا الممنوحة له بعيدا عن كل ما هو ميكانيكي و أطلق على هذه المزايا اسم الملكات الطبيعية ،فابرز مثال أعطاه في هذا الصدد هو عضو من أعضاء الإنسان و هو الكبد فحسبه يحول الأغذية المهضومة من طرف المعدة إلى الدم بفضل امتلاكه القدرة على صنع و إنتاج الدم في حين أن هذه الملكات لها معاني أخرى

التي اعتبرها ليست ملكة بل العديد من بينهم أرسطو من الفلاسفة العلماء من العديد عند الملكات وهي متخصصة حسب الأعضاء والوظائف التي تقوم بها و بقياس نظرية جالينوس تاريخيا وجدت بأنها تقريبية ، أي مقربة من نظرية أفلاطون خصوصا في اعتماده في تقسيم الأنفس إلى عاقلة مقرها الرأس و حيوانية مقرها القلب ، و غازية مقرها الكبد. جالينوس اعتمد في مساره الطبي على إستراتيجية و رؤى و العديد من الأنساق الفلسفية التي كانت سائدة في ذلك العصر.²

يضاف إليه أيضا انه قد كان عالم بعلم التشريح، الذي نبغ فيه و صنف فيه سبع عشرة مقالة فانشأ مدرسة مارس فيها هذا الفن و قيل عنه بأنه أشهر أطباء المشرحين القدامى.³

¹- احمد عبدالحليم عطية ،جالينوس في الفكر القديم و المعاصر ،دار أنباء ،القاهرة،1999،ص49،48

²-رشيد دحدوح،تاريخ و فلسفة العلوم البيولوجية و الطبية عند جورج كانغيلهم،أطروحة دكتوراة ،جامعة منتوري،2006،2005،ص122

³-عيسى اسكندر المعلوف: تاريخ الطب عند الأمم القديمة و الحديثة مرجع سابق،ص30

2- الطب عند المسيحيين:

بعد أن انطلقنا في تطور الطب من اليونانيين القدماء لآبد من الذهاب و إلقاء نظرة عن الطب عند المسيحيين ،فقد عرفوا العديد من العلوم التي كانت بمثابة دليل قاطع على قيام تراثهم و ثقافتهم و تعرضهم للكثير من القفزات النوعية التي تطورت حضارتهم من خلالها و على رأس هذه العلوم يمكن الحديث عن الطب الذي يعتبر من المجالات المهمة التي حددت مسار الكثير من العلماء المختصين في هذا المجال، لذلك لآبد من طرح السؤال التالي : ما هي وجهة نظر المسيحيين إلى الطب؟ و من هم ابرز الأطباء المسيحيين؟

يعتبر النصرارى من بين جميع المسيحيين و اعرق الناس في طلب الطب و البراعة فيه، و قد عمت هذه الحرفة بينهم ، فأسسوا العديد من المدارس من بينها مدرسة(جندي سابور) الطبية، التي مشهورة في بلاد العجم.¹

تأثر المسيحيين كثيرا بأبي قراط خاصة في علاقة الطبيب بمرضاه، و قد كان الطبيب ذا مكانة معتبرة فقد صنفوه في أعلى مرتبة و هي مرتبة الملائكة و القديسين، بالإضافة إلى أن الطب نال الكثير من اهتمام المسيحيين و اهتموا بالمرض أيضا.

كانت المسيحية تنظر إلى الجسم نظرة تتمثل في انه ليس ملك لصاحبه بل هو ملك لله و عليه المحافظة على هذا الجسم ،و المعروف عليهم أنهم يؤمنون بالمسيح عليه السلام ،لأنه له القدرة الكبيرة على شفاء الذات و قد ورد في الإنجيل (فقد كان يسوع يطوف كل الجليل يعلم في مجامعهم و يكرر ببشارة الملكوت و يشفي كل مرض و كل ضعيف في الشعب) وهذا

أيضا ما أكده القرآن الكريم الذي جاء في قوله تعالى"و يعلمه الكتاب و الحكمة و التوراة و

¹- عيسى اسكندر المعلوف: تاريخ الطب عند الأمم القديمة و الحديثة مرجع سابق،ص96

الإنجيل و رسولا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بأية من ربكم أني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طائرا بإذن الله و أبرئ الأكمه و الأبرص و احيي الموتى بإذن الله، و أنبئكم بما تأكلون و ما تدخرون في بيوتكم ،إن في ذلك لأية لكم إن كنتم مؤمنين " ¹.

و قد شن الكاثوليكين حملة ضد الإخصاب الصناعي و الإجهاض ،و قد عرفت المسيحية

العديد من الأطباء و العلماء من بينهم (اندريه هيلجرس) فهو مسيحي و مختص في علم

الأجنة و هو مدير و مؤسس للإحدى المؤسسات التي تعترض و تحارب الإخصاب

الصناعي بجميع أنواعه فهي تحد من حرية الإنسان ².

و قد ساهم العديد من رجال المسيحيين في تطوير الطب و من بينهم:

2-1. جريجور مندل:

يعتبر من بين البارعين في مجال الطب و قد كان راهبا و قسا و هو أول من وضع القوانين التي تفسر انتقال الصفات الوراثية من الآباء إلى الأبناء .

واعتنى بدراسة الوراثة بالنسبة للنباتات خاصة بازلاء الأزهار حيث لاحظ الفرق بين بعضها البعض فبعضها طويل و الآخر قصير، فقام بتهجين العديد من النباتات فكانت هذه العملية تتمثل في انه جعل لكل حبة أبوين صفاتهما مختلفة مثال ذلك :أبوين احدهما قصير و الآخر طويل،و قد زرع العديد من مئات النباتات ،و طرح على نفسه الكثير من التساؤلات التي أدت به إلى أداء تجارب أخرى و قوانين مندل اعتبرت ذات قيمة ، و يمكن في الأخير

¹ - سورة المائدة ،الاية 49،48

² -العمري حربوش، التقنيات الطبية قيمتها الأخلاقية في فلسفة فرانسوا داغوني،مذكرة ماجستير،جامعة

منتوري،2008،2007،ص48-49-50

اعتبار مندل انه وضع الحجر الأساسي لدراسة الوراثة و هو يعتبر من عباقرة العلم و قوانينه التي وضعها سوف تحد و تساعد في القضاء على العديد من الأمراض الوراثية.¹

3. الطب عند المسلمين:

في تتبعنا لتطور الطب بدأنا باليونانيين و القينا نظرة عن الطب لديهم و بعدها مررنا بالطب عند المسيحيين، و باعتبار أن المسلمين نهلوا من هذا العلم أيضا و قد عرفوه كغيرهم من الأمم لذلك توصلنا إلى طرح سؤال الغاية منه إلقاء نظرة عن الطب في مسيرته الطويلة ، و هو المتمثل في إذا عرف المسلمين الطب فهل كان لهم أطباء مشهورين كغيرهم من الأمم التي برزت حضارتها عن طريق أطباء؟ و إن كانوا فمن هم ابرز هؤلاء الأطباء؟ للحديث عن الطب عند المسلمين لابد من إلقاء نظرة عن الطب عند العرب الذين شاع عنهم أنهم عرفوه عن طريق الخبرة التي اكتسبوها من خلال احتكاكهم بالأمم الأخرى و قد غلب عليهم الطابع التجريبي، و هذا قبل مجيء الإسلام، لكن بمجرد بزوغ الإسلام و ظهوره جاءت تعاليم الرسول صل الله عليه و سلم مناديا و حاثا على النظافة و الحجر الصحي² ، و يعتبر الطب الإسلامي امتدادا للطب اليوناني ، أو بعبارة أخرى استفادوا منهم ، فقد انتفعوا بخبرة من سبقوهم من اليونانيين القدامى ، ونلاحظ أن أطباء المسلمين قد انتهجوا منهج الأولين كانوا بكر الرازي الذي كان يلقب بجالينوس العرب و ثاني أعظم أطباء المسلمين نجد ابن سينا الذي هو أيضا كان يلقب بابي قراط العرب .

و بكتابه القانون في الطب الذي يعد اكبر مرجع للطب في العصور الوسطى و حتى مطلع العصر الحديث في ا لشرق و الغرب و هذا دليل واضح الوضوح بان الأطباء المسلمين

¹-جوزيف عبود كبة،عباقرة العلم في علم الحياة و الطب ،دار الشرق العربي،بيروت،صص43-49-51-52

²-محمد حسن محاسنة،أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين،ط1،دار الكتاب الجامعي،العين،2001،ص55

نهلوا و استفادوا من خبرة اليونانيين القدامى، و رغم هذه الاستفادة إلا أنهم قاموا بتطوير النتائج التي توصل إليها قدماء اليونانيين و إضافة و اكتشاف ما لم يتوصل إليه أطباء اليونان.¹

1.3- الطب عند الرازي:

احتل مرتبة كبيرة في قائمة أشهر الأطباء المسلمين بفضل مختلف العلوم التي درسها منها الطب و الفلسفة و الرياضيات و قد أولى اهتماما كبيرا بدراسة الطب، اشتهر الرازي بالعديد من الكتب منها التي كانت تدور حول الجدري و الحصباء و قد ترجمت إلى لغات غربية كالانجليزية و اللاتينية، و هو مثل العصور الوسطى و قد اشتملت كتبه على مجالات عديدة في الطب:كالجراحة و الطب العلاجي و الأمراض الجلدية و التغذية و الصحة.²

و قد أعجب الكثير من العلماء بالرازي و كتاباته من بينهم العالم (البيروني)، فقد قضى سنوات عديدة في تجميع مؤلفات الرازي و تسجيلها في فهرس خاص أهمها:الموسوعة الضخمة (الهاوي) و هي تنص على الملاحظات التي كان يتوصل إليها من خلال فحص مرضاه يوميا و علاجهم.

و هذا الرجل بفضل تعلقه و اهتمامه بالطب استطاع ابتكار وسائل جديدة في علاج الأمراض، و شهرته إلى الآن لا تزال رغم ألف سنة مضت، و هذا يعتبر دليلا على الدور الذي قام به في تاريخ الطب الإسلامي.

¹- احمد محمود صبحي، محمود فهمي زيدان، في فلسفة الطب، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1993، ص99-100

²- هواردر نتيترز، العلوم عند المسلمين، مقدة مصورة، ترجمة فتح الله الشيخ، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002، ص169-170

3.2 - ابن سينا:

يعتبر ثان أشهر الأطباء العرب بعد الرازي ، فهو الآخر كان مطلعاً على مختلف العلوم منها الدين و الفقه و الشرع و السنة بالإضافة علوم الفلسفة و المنطق ، كان متأثراً بكل من الفلاسفة أرسطو و الفارابي و ابن رشد ، و رغم هذه الإطلاوع إلا انه كان محباً و شغوفاً بالطب و مولعاً به فكان سبباً في نبوغه في هذا المجال¹.

كان يتميز بمميزات خاصة خلافاً لأطباء عصره أو علماء عصره ، و قد قيل عنه بأنه نابغة و من أعظم علماء الطب في التاريخ فبفضله شهد الطب تقدماً هائلاً ، و حقق نجاحاً باهراً ، كان لابن سينا منهجاً خاصاً فقد طبق المنهج التجريبي الذي كان يطبقه على مرضاه ، فعندما يكتشف دواءً يطبقه على الحيوان أولاً فان صلح الدواء و كانت له نسبة في العلاج قام بتطبيقه أو إعطائه للإنسان ، و قد استطاع الكشف عن العديد من الأمراض².

نذكر من بينها : كمرض العدوى لبعض الأمراض المعدية ، كالجدري و الحصبة و قال بأنها تنتقل عن طريق الكائنات الحية في الماء و الجو ، و من ابرز كتبه هو القانون في الطب حيث بلغ صيته في الغرب فأطلقوا عليه تسمية *canon medicine* و كان يحتوي على علم الصحة و كيفية معالجة الأمراض و على الأدوية و على علم التشريح و ترجمة الغرب إلى لغاتهم و طبع خمسة عشرة مرة ، فاعتمدوا عليه في الجامعات الأوروبية الطبية مدة ستة قرون حتى منتصف القرن السابع عشر و قد قال السير "وليام اوسلن" عن هذا الكتاب بأنه كان بمثابة الإنجيل في علم الطب ما يزيد على سبعة قرون من الزمن ، و هذه الشهادات في حق هذا الكتاب جعلته ذا منزلة كبيرة و ذا اهتمام شاسع من قبل الغرب ، و بالإضافة إلى هذا الكتاب يوجد كتاب آخر و هو الشفاء ، و قد ترجمت كتبه إلى معظم

¹ - سيد حسن نصره، العلوم في الإسلام، ط1، دار الجنوب للنشر، تونس، 1978، ص150

² - عاطف محمد، علم أعلام الطب، ابن سينا، دار اللطائف، القاهرة، 2003، ص54

لغات العالم كاللغة اللاتينية¹، و ابن سينا بقدر ما كان متأثراً فأيضاً ترك أثراً في نفوس الآخرين منهم المفكرين و العلماء الذين أخذوه كنموذج يحتذى به و كشخصية لاذعة في مجال الطب و في كثير من المجالات ، من بين المتأثرين به نذكر الغزالي و ابن النفيس و عمر الخيام و غيرهم ، الذين ربما أن لم نعدهم جميعاً يعتبر تقصيراً في حقهم.

4. الطب عند الغربيين:

قد جال الطب مختلف بقاع العالم ، و تطور تطوراً كبيراً ، و انتقل من حضارة إلى حضارة كما سبق و إن رأيناه في تتبع مساره ، فمن العرب الى الغرب مباشرة لذلك أردنا طرح تساؤل و المتمثل في :ما هي حالة الطب في الدول الغربية ؟ و هل يوجد نموذج يمثل الطب في هذه الحضارة؟

للحديث عن الطب في الحضارة الغربية لا يجب أن ننسى الفضل الذي قدمه العرب للغرب ، فقد اعترف العديد من المستشرقين الذين أشادوا بفضل الحضارة العربية على أوروبا من بينهم "غوساف لويون" فقد قال كان تأثير العرب على الغرب عظيماً و إليهم يرجع الفضل في حضارة أوروبا .و بالرجوع إلى حالة الطب في الحضارة الغربية عرفنا بأنها حالة من الفوضى و الجهل فقد كانت معرفتهم بالعلوم الطبية ضئيلة جداً و السبب راجع إلى تزمّت رجال الدين و تدخل الكنيسة في الشؤون الطبية ، لأنها تحرم التطبيب أو معالجة المرضى لأنها تعتقد بأن المرض هو عقاب إلهي من السماء و لا يجب أن يتدخل الإنسان في هذا الشيء المقدس الإلهي و هي تفرض عقوبات على من يتدخل، أما بالنسبة للجراحة فقد كان معظم الأطباء يتحاشونها بسبب الخوف ، أما بالنسبة للمستشفيات فهي ملجأً لليتامى و المهاجرين و الفقراء....و غيرها من الاستعمالات.

¹ - راغب السرجاني ، قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية ، ط1 ، مؤسسة اقرأ ، القاهرة ، 2009 ، ص ص 187-188-189

قد كانت المستشفيات تخلص من المقومات الفنية على غرار المستشفيات الإسلامية ، و قد ضلت أوروبا تتخبط في الجهل حتى ظهرت العديد من العوامل التي انتقل منها الطب العربي إلى أوروبا منها عوامل جغرافية ، سياسية ، اقتصادية ، ثقافية ، فالتقارب الجغرافي بين العرب و الأوروبيين سهل الاتصالات المباشرة بين الطرفين ، و قد انتقلت الثقافة العربية إلى أوروبا و إلى غيرهم من العوامل التي أدت إلى انتشار الطب في الغرب و خاصة حركة الترجمة.¹

4-1 الطب عند جورج كانغيلاهم :

يعتبر من ابرز الأطباء و قد امتهن العديد من العلوم من بينها الفلسفة ، و هو متحصل على العديد من الشهادات منها الطب.²

أتجه إلى احتراف مهنة الطب لأنه يعتبر أن الطب يمتلك ميزة لا نجدها في العلوم الأخرى، من بينها أنه يمتلك ميزة أنه يقع في مفترق الطرق بين مباحث علمية متعددة ، كالفيزياء، الكيمياء ، الفيزيولوجيا.....

يرى كانغيلاهم أن الطب يسمح لنفسه بأن يعالج إشكالات الإنسان الأنطولوجية ، و الفلسفية ، و هو عملة واحدة لوجهين هما: كونه علمي موضوعي ، و ثانياً أنه إنساني ذاتي ، لأنه يجمع بين الظواهر المرضية و يقوم بتجسيد المعاناة و يقول كانغيلاهم في هذا الصدد "إننا ننتظر من الطب تحديداً أن يلجأ بنا إلى مشكلات إنسانية فالطب كان يبدو لنا و ما زال كتقنية أو فن في ملتقى طرق علوم عدة أكثر منه علم مستقل بذاته."³

¹ - زكية بالناصر الفعود ، أثر العلم الإسلامي على الطب في أوروبا، المجلة الليبية العالمية، العدد الثامن، ليبيا، يوليو 2016، ص

2-3-4-5

² - جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة ، ط3، دار الطليعة ،بيروت ، 2002، ص513

³ - رشيد دحدوح، تاريخ وفلسفة العلوم البيولوجية والطبية، مرجع سابق ، ص69

لقد شغلت العديد من المشاكل فكر كانغيلاهم من بينها مشكلة العلاقات بين العلوم و التقنيات و مشكلة السوي و المريض ، أصبح أكثر ميلا إلى المذهب الفينومينولوجي في تحليله لقضايا الطب و البيولوجيا ، إن الموضوع الذي يهتم به الطب هو المرض الذي أصبح أكثر بمثابة هاجس يؤرق الإنسان في العصر الحديث و لأسباب راجعة بالدرجة الأولى إلى خوف الإنسان من الموت أو من المجهول ، فالطب عندما تسلح بالتقنية أعطى مفهوما آخر للمرض ، لأنها أصبحت تقوم بدور مهم و رئيسي و هو الكشف عن المرض دون وجود ألم .

و يرى كانغيلاهم إن الطب هدفه إيجاد العلاج للمريض و أنه بدأ قبل الفيزيولوجيا، و قد كانت وجهة نظر كانغيلاهم للطب بأنه طبع بطابع التقنية ، فقد استطاعت مساعدة الكثير من المرضى و إنقاذ حياتهم و لولا تدخل التقنية التي تسمح بكشف الأسرار التي لولاها لمات الكثير من الناس موتا مجهولا ، دون الكشف عن السبب الرئيسي للوفاة ، فهو يعتبر بأن التقنية ليست شرا بالنسبة للطب.¹

¹ - حسن مصدق ، آخرون ، يورغن هابرماس ورهانات مستقبل الطبيعة الإنسانية، ضمن كتاب : البيواتيقا ومهمة الفلسفة.

المبحث الثالث: تطبيقات الثورة البيولوجية

تمهيد:

بلغت العلوم الطبية والبيولوجية ذروتها في بداية القرن العشرين، حيث سمحت هذه الأخيرة للعلماء بالتغلغل في الجسد البشري ومعرفة مكوناته و خصائصه من خلال فرع البيولوجيا خاصة الهندسة الوراثية التي صاحبها العديد من القضايا التي جعلت من الإنسان مسرحاً لتجاربه العلمية محدثة بذلك ثورة بيولوجية ، وقد حاولنا في هذا المبحث الإجابة على السؤال التالي: فيما تتمثل تطبيقات الثورة البيولوجية ؟

المطلب الأول: الهندسة الوراثية

الهندسة الوراثية هي مجموع التقنيات المجهزية المستخدمة في عملية العزل الجني، وتغييرها في كل جسم حي، والتمكين من التلاعب بالحمض النووي أربي منقوص الأكسجين في الخلية¹.

فالهندسة الوراثية تستخدم تقنية الجينات، من أجل إنتاج البروتينات، وتعديل الكائنات الحية جينيا، فلما نقول أن الهندسة الوراثية هي التعامل مع المادة الوراثية (نستنتج أن محل الهندسة الوراثية هي المادة الوراثية)، عن طريق استخلاص معلومات عنها، أي بدراسة المادة الوراثية تركيباً ووظيفة للحصول على نتائج تفيد في تشخيص الأمراض الوراثية والبحث العلمي أما التغير فيها " فيكون بنقل المادة الوراثية من خلية إلى خلية أخرى، قد تتفق معها في الجنس وقد تختلف ، كأن ننقل خلية إنسانية إلى خلية حيوانية، أو بكتيرية كما يدخل في نقل المادة الوراثية النقل الكلي لها و النقل الجزئي².

¹ - جوزيف معلوف، المسألة الأخلاقية في العلوم الطبية، المكتبة البوليسية، لبنان، 2005، ص 61

² - سعيد بن عبد العزيز بن عبد الله الشويرخ، أحكام الهندسة الوراثية، المرجع السابق، ص 38

إضافة إلى هذه المصطلحات تستخدم الهندسة الوراثية العديد من التقنيات عبر مراحل تطورها وما نتج عنها من تطبيقات داخل هذه الثورة الوراثية و كما قلنا سابقا أن الهندسة الوراثية تعتمد على طريقة العزل الجيني، باستخدام أسس وتقنيات نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر تقنية النقل transfert التي تهدف إلى دراسة تحركات الجينات بعد إدخالها في الخلايا أو الأنسجة وقد مكنت هذه التقنية من معرفة بنية الجينات، وإنتاج جزيئات مفيدة للإنسان إلى إنتاج نباتات وحيوانات معدلة جينيا، وكذلك معرفة الجين المسبب للمرض، كما نجد تقينه العزل isolement "و التي تقوم على فصل نقاط محددة من سلسلة الحامض النووي لتسهيل عزل الجينات والاستساخ clonage وهو التكاثر البيولوجي للجينات البسيطة للحصول على كمية أكبر¹

من خلال ما سبق نستنتج أن الهندسة الوراثية بتقنياتها و تطبيقاتها ، سواء في المجال النباتي أو الحيواني أو الإنساني قد حققت إنجازات مذهلة بدءا بإنتاج العقاقير والأدوية والهرمونات لعلاج الأمراض الوراثية وغيرها الإنجازات التي سنعرفها من خلال العنصر المقبل.

المطلب الثاني: علم الأجنة و تقنيات الإنجاب الحديثة

أ/ علم الأجنة : **embryologie** - لقد عرف علم الأجنة تطورا كبيرا وأصبح يثير

نقاشات أخلاقية هامة منذ مطلع ثمانينات القرن الماضي ويهتم هذا العلم بدراسة تكون ونشأة الكائن البشري منذ اللحظة الأولى للإخصاب وحتى لحظة الولادة² .

إن فعلم الأجنة يهتم بدراسة ترتيب وتطور الكائن الحي منذ مرحلة التلقيح، وحتى لحظة الولادة بمعنى أنه يدرس الكائن الحي في المرحلة الجنينية، وتشمل هذه الدراسة معرفة الطريقة

¹ - جوزيف معلوف ، المسألة الأخلاقية في العلوم الطبية ، المرجع السابق ،ص66

² - عمر بوفتاس، البيواطيقا، الأخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجيا ، المرجع السابق ،ص223

التي يتم بها التلقيح والصعوبات التي تواجه هذه العملية ومحاولة إيجاد طرق لعلاج الجنين وهو في مراحل الحمل، كما يسعى أيضا بمساعدة التكنولوجيا الحديثة التعرف على جنس الجنين قبل الولادة، وأحدث ما قدمه هذا العلم للبشرية هو حل مشكلة العقم من خلال وسيلتين للتغلب على هذه المشكلة وهما الإخصاب الصناعي والإخصاب خارج الرحم أو أطفال الأنابيب¹.

والهدف الذي يرمي إليه هذا العلم هو الحصول على معلومات طبية وبيولوجية تستخدم إما لأهداف معرفية محضة أو لأهداف علاجية اعتمادا على استراتيجيات تجريبية فرضها التطور الحاصل في ميدان الإنجاب الصناعي، الذي مكن من القيام بالفحوص والتجارب على البويضات الملقحة أو الأجنة في المراحل الأولى للانقسام مستخدمين الأجنة الحيوانية في بداية الأمر وبعد ذلك الأجنة البشرية، كوسائل لضمان قدر من العلاجية، والقدرة على التنبؤ فيما يتعلق بالتحكم في التقنية².

من خلال ما تقدم نخلص إلى أن علم الأجنة، قد مكن من تقنيتين أساسيتين لمعالجة العقم هما الإخصاب الصناعي وأطفال الأنابيب، كما استخدمت هاتين التقنيتين لأغراض أخرى تدخل ضمن ما يطلق عليه " التجارب على الأجنة " والتي منها تأسيس بنوك الأجنة ، وما أحدثته من قضايا ونقاشات حادة بين مختلف الجهات العلمية والقانونية والأخلاقية، دون إنكار ما قدمه من إمكانيات علاجية خاصة ما يتعلق بالخلل الهرموني وأنواع التبادل البيوكيميائي بين الجنين ووسطه الحيوي، كل ذلك بغية تحسين ظروف عمليات الإخصاب خارج الرحم، وكذا العيوب الوراثية لدى الجنين وخصائصه الجينية، إن فن قد طرح علم الأجنة ثلاثة أنواع من الدوافع متداخلة فيما بينها والتي هي دوافع علاجية وأخرى معرفية والثالثة تشمل تصنيع الأجنة و الاتجار بها.

¹ - ناهده البق صمي، الهندسة الوراثية والأخلاق، المرجع السابق، ص76

² - عمر بوفتاس، البيواطيقا، الأخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجي ، المرجع نفسه، ص244

ب/ الإخصاب الصناعي (الاصطناعي): ARTIFICIAL IN SEMENATION:

لقد فتحت التقنيات الحديثة في مجالات التكاثر البشري أفقا جديدة للمساعدة على الإخصاب عند عدم وجود واحد من أربعة متطلبات رئيسية لحدوث الحمل، والتي كانت تعتبر في الماضي غير قابلة للشفاء، وهي الخلايا الذكرية، البويضة والتقاء الخلية الذكرية أو الحيوان المنوي بالبويضة و إنغراس البويضة في جدار الرحم، و سنبدأ حديثنا بطريقة الإخصاب الصناعي وكيفية تمكن هذه التقنية من الإخصاب و أهم الوسائل التي استخدمت في هذه العملية¹.

المقصود بالإخصاب الصناعي هو أن العملية التي يتم من خلالها الحمل هي ليست نفس الطريقة التي تعودت عليها البشرية منذ بداية الخليقة، وليس معناه كما يعتقد البعض أن المادة التي تستخدم في الإخصاب ليست هي السائل المنوي، هذه العملية كما قلنا تتم بواسطة التلقيح الاصطناعي، دون أي اتصال جنسي بين الذكر والأنثى².

فالإخصاب الصناعي تقنية تقتضي أن يضع مني الزوج أو مني أحد المتبرعين في المسالك الطبيعية للمرأة أثناء مرحلة التبويض، مع مراعاة عدم وجود أي خلل في المرأة يعيق عملية الإخصاب الذي هو نوعين الأول يشترك فيه الزوجان وهذا النوع يرجعه بعض الباحثين من أمثال الفرنسي " : جاك تيسنار " أنه قد مارسه العرب على الحيوانات منذ القرن الرابع عشر ميلادي بهدف اصطفاء سلالات الخيول، ثم انتقل لأوروبا خلال القرن 18 أما أول إخصاب صناعي للبشر فقد قام به الطبيب الانجليزي " جون هانتو " سنة 1799³.

أما فيما يخص النوع الثاني فهو الإخصاب الصناعي عن طريق الاستعانة بطرف ثالث، وهو المتبرع بالمنى، وهذا النوع يعتمد على اللجوء إلى المنى المجمد أو ما يعرف

¹ - زياد أحمد عبد النبي سلامة، أطفال الأنابيب بين العلم والشريعة، المرجع السابق، ص 54

² - ناهده البق صمي، الهندسة الوراثية والأخلاق، المرجع السابق، ص. 76

³ - عمر بوفناس، البيوطيقا، الأخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجيا، المرجع السابق، ص 244

بينوك المنى التي أصبحت مرتبطة بهذه التقنية وترجع أو عملية تلقيح لهذا النوع إلى الطبيب الأمريكي "بانكوست 1884" وما أحدثه من ضجة داخل الأوساط الطبية والدينية ولكنها انتشرت بشكل كبير بعد الحرب العالمية الثانية والدليل على ذلك أن الولايات المتحدة الأمريكية تشهد ولادة مئات الآلاف من الأطفال بواسطتها¹.

ما يمكن استنتاجه من عملية الإخصاب الصناعي هو أن هذه التقنية تستخدم عند إصابة أحد الزوجين بالعقم، أو ضعف يمنع إتمام الحمل، أو خوفا من انتقال مرض وراثي إلى الأطفال وإذا كانت المرأة غير قادرة على الحمل يستعان بامرأة تحمل بدلا من الزوجة، وهذا ما يعرف بالأم البديلة، وقد نتج عن هذه التقنية العديد من التساؤلات والإشكاليات التي سنوضحها في العناصر المقبلة.

ج/ أطفال الأنابيب bébé éprouvette - أو الإخصاب الصناعي خارج الرحم : vitro in fertilisation

تدل هذه الكلمة حرفيا باللغة الفرنسية على التلقيح داخل الأنبوب، أي إخصاب صناعي لبويضة المرأة بالحيوان المنوي للرجل خارج الرحم، وبعد عملية الإخصاب يتم نقل اللقمة داخل الرحم كي يتم نموها بشكل طبيعي، ويتم اللجوء لهذه التقنية عند عقم المرأة الناتج أساسا عن تشوهات في الجهاز التناسلي وخاصة في عنق الرحم، وتتم هذه التقنية بعدة مراحل بدءا من استخلاص البويضة من مبيض المرأة بعد تحريض وتنشيط عملية الإباضة أما منى الرجل فيتم الحصول عليه بواسطة الاستمنا، بعد ذلك يتم الجمع بين الحيوان المنوي والبويضة في أنبوب زجاجي لأجل إحداث عملية الإخصاب، يومين بعد ذلك يقوم الطبيب المعالج بإعادة زرع الجنين في رحم المرأة².

¹ - ناهده البقصمي، الهندسة الوراثية والأخلاق، المرجع نفسه، ص77

² - عمر بوفتاس، البيوتيقا، الأخلاقيات الجديدة في مواجهة وتجاوزات البيوتكنولوجيا، مرجع سابق، ص230

وهذه الطريقة يتم اللجوء إليها في عدة حالات منها، قفل الأنابيب أي عندما تكون أنابيب قناة الرحم مقفلة أو مسدودة، وكذلك قلة الحيوانات المنوية بحيث لا تزيد عن مليون أو ربما أقل وكذلك إفرازات عنق الرحم المعادية للحيوانات المنوية إضافة إلى إنتباد الرحم وحالات عجز المبايض عن الإباضة أو عندما تكون المرأة غير قادرة على الحمل، فيتم إخصاب بويضة امرأة أخرى مع حيوان مني ثم ينقل الجنين إلى رحم الزوجة" المرأة "أو عندما يزال رحم المرأة نهائيا بسبب عملية جراحية لسبب ما¹ .

وهذه العملية تتم بين البيوضة والجرثومة المنوية، التي تترك لتنمو فترة معينة ثم يتم زرعها في رحم الأنثى لإتمام مراحل الحمل، وبعد نجاح هذه العملية فقد تم إعادتها العديد من المرات، لتبعث أمل جديد لدى الكثير من النساء في العالم وخاصة اللواتي يعانين من انسداد في قناة فالوب لأن العملية تمت في البداية من أجل هذا النوع من العقم² .

من خلال ما تقدم نصل إلى أن علم الأجنة قد قدم الكثير من التقنيات والتسهيلات للمرأة والبشرية، وإن كان قد فتح الباب على الكثير من المسائل والقضايا التي هي من صميم النقاش والحوار الراهن خاصة ما يعرف بالمتاجرة بالأجنة والتجارب عليها، و كل ذلك راجع لما أتاحه هذا العلم حيث مكن الطب الحديث من حل مشكلة العقم عن طريق الإخصاب الصناعي وأطفال الأنابيب وعمليات نقل وزرع الأجنة، وقد نتج عنها ظهور شركات تقوم بالترويج لمثل هذه العمليات، إضافة إلى ما يعرف بالأم البديلة.

¹ - زياد احمد بن عبد النبي سلامة ،أطفال الأنابيب بين العلم والشريعة، صص 36- 37

² - زياد احمد بن عبد النبي سلامة ، المرجع السابق، صص80.

الفصل الثاني

الفلسفة الأخلاقية عند هابر ماس

المبحث الأول : الحوار و التواصل في أخلاقيات النقاش

المطلب الأول: الخطاب الأخلاقي و شروط صحته

المطلب الثاني: الخطاب الأخلاقي وألوية الخلقى على الأخلاق

المطلب الثالث: وظيفة الخطاب الأخلاقي

المبحث الثاني : هابر ماس والتأسيس لأخلاق الجنس البشري

المطلب الأول: تهذيب الطبيعة البشرية

المطلب الثاني: أخلاق الجنس البشري

المبحث الثالث: التواصل والأخلاق

المطلب الأول: أهمية التواصل

المطلب الثاني: أخلاق القانون

المبحث الأول: الحوار و التواصل في أخلاقيات النقاش

المطلب الأول: الخطاب الأخلاقي وشروط صحته

المطلب الثاني : الخطاب الأخلاقي وألوية الخلقى على الأخلاق

المطلب الثالث: وظيفة الخطاب الأخلاقي

المبحث الأول: الحوار والتواصل في أخلاقيات المناقشة عند هابر ماس

تمهيد:

لما كان المجتمع من حيث التنظيم يقتضي وجود معايير تحتكم إليها المؤسسات توجه هابر ماس إلى مجال الأخلاق لكي يتمكن من إزالة الشوائب عن العقل والمجتمع، فظاهرة العودة إلى الأخلاق أصبحت تقليدا في الفكر الغربي المعاصر و ذلك راجع إلى الهول الذي خلفته التقنية و انعكاساتها على الإنسان و على الطبيعة، وهذا ما يفسر كثرة النظريات وتعددتها في هذا الشأن، لعل من أبرزها نظرية المسؤولية لهانس جونس *Hans Jonas* في كتابه مبدأ المسؤولية، و كارل أتو أبل في مسألة التأسيس العقلي للأخلاقيات في عهد العلم، ومقالة الفرنسي جاك ايلولو بحث من أجل أخلاقيات المجتمع التقني و دومنيك جانيكو في كتابه قوة المعقول و نظرية أخلاق التواصل التي يعمل هابر ماس على تطويرها منذ كتاباته الأولى . ففلسفة الأخلاق عند هابر ماس تطرح أسئلة بصفة الجماعة و أخرى بصفة الفرد، أما الأسئلة بصفة الجمع فتتمحور حول كيف نتعارف و نعرف أنفسنا كأفراد ينتمون إلى جماعة أخلاقية و على أي مبادئ تقوم حياتنا . أما من ناحية الفرد فتطرح أسئلة متشابهة من أنا ؟

و ما هي المبادئ التي أخضع لها ؟ومن يمتلك المشروعية لوضع المعايير الأخلاقية؟ لذا ستمحور إشكاليتنا في هذا المطلب الخاص بأخلاقيات المناقشة *éthique dela discussion* حول ما هي الشروط التي يقوم عليها الخطاب الأخلاقي لدى هابر ماس؟ وما دور التواصل في هذه الأخلاق؟ كما سنحاول تمييز أخلاق المناقشة عند هابر ماس عن الأخلاق الكانطية لمعرفة ما مدى تجاوز هابر ماس لأحد أكبر أساتذته في مجال الأخلاق ؟

المطلب الأول: الخطاب الأخلاقي وشروط صحته:

يقترح هابر ماس في نظرية أخلاق المناقشة مبادئ إجرائية توجه المناقشة الحقيقية بين الأشخاص فصاغ في هذا المجال مبادئ: الأول يسميه مبدأ المناقشة *discussion* و يسمي المبدأ الثاني بمبدأ الكونية *principe de la totalité* ، أما مبدأ *principe de la* المناقشة فيقوم على معايير ترضي كل الأطراف المعنية بالحوار باعتبارهم ذوات فاعلين و يمكنهم ادعاء الصلاحية ، أما المبدأ الكوني ، فيقوم على أن كل حوار يجب أن يستوفي الشرط الذي بموجبه يقبل كل الأشخاص النتائج و الآثار الجانبية الناجمة عن قبول الجميع بالعمل عن طيب خاطر من أجل مراعاة كونيته و حتى و لو تطلب ذلك التضحية بالمصالح الخاصة لكل واحد من المشاركين و هذان " المبدأان يقترحان إزاحة التركيز على الذات في المناقشة العملية . و ذلك قصد الوصول إلى إجماع عقلائي بخصوص المصالح الكونية المشتركة ¹ .

و هكذا فإن أخلاقيات المناقشة لا يقدم فيها هابر ماس المعايير التي يجب إتباعها في المجتمع و الحياة ، و لكن " الإجراءات و الشروط المنظمة لمناقشة عقلانية تمكن المشاركين فيها من الوصول إلى الإجماع ² " الحر النابع من رغبة و إرادة حقيقية لتغيير معطيات معينة أو قوانين ما ، ثمة إذن نظام ضمني يحاول هابر ماس الكشف عنه و هو الأخلاق الكلية *totalité morale* و هذا ما لم يقبله علماء الاجتماع ، إذ كيف يمكننا التفكير بنظام أخلاقي ينطبق على جميع البشر بشتى أنماط حياتهم.

فأخلاقية المخاطبة أو النقاش تعني حسب هابر ماس " شرعية معيارية يتم تحقيقها بواسطة أولا عقلانية خطابية تقتضي نموذجيا البحث عن الحجة الأفضل ، و من ثم الانفتاح على كافة الحجج ذات الصلة ، و ثانيا الشمولية التي تتضمن نموذجيا ، مشاركة و اعترافا متبادلا بين كافة المعنيين، باختصار وبعبارة موجزة ، ينبغي أن تسمع كافة الحجج و أن يصغي إلى سائر المعنيين أو باختصار و بعبارة سالبة " إن الاستبعاد غير المستحق

¹ - محمد عبد السلام الأشهب ،مناظرة هابر ماس و رولز، سؤال العدالة في الفلسفة السياسية ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،

سلسلة ندوات ومناظرات رقم 179 ص 135

² - المرجع نفسه ، ص136

ليضعف الشرعية المعيارية¹ ، تهدف هذه المعايير إلى تحقيق الإجماع النابع من الحوار النظيف الخالي من السيطرة و الهيمنة .والإجماع الذي يقصده هابر ماس هو الذي يتحقق فقط عن طريق قوة **الحجة الأفضل** و *meilleur argument* ، لا يكون نتيجة ضغوط خارجية أو داخلية ، واعية أو غير واعية، ظاهرة أو خفية ومن ثم فإن الحوار و المناقشة يتأسسان على مسلمة مفادها أن النقاش القائم على الحرية و على الاحترام المتبادل و على الحجج العقلية يقود بالضرورة إلى نتائج يمكن أن يتوافق عليها الجميع، فالمحاجة " ليست هي فقط التعبير عن أري ما ،بل هي البحث ذاتيا عن المبررات التي قد تصلح للآخرين² . "أما بخصوص المسائل الاجتماعية المتنازع حولها فقد أكد هابر ماس على إمكانية تسويتها بصفة عقلانية أي تسويتها وفق المصلحة المشتركة للأشخاص المعنيين، و من جهة أخرى يجب أن نقوم بشرح لماذا يكون وسيط الاستدلال (البرهان المحاجة) و التفاوض العامين؟ في هذا الوضع يفضل هابر ماس النموذج الليبرالي الذي يرى بان التفاهم أو التسوية مابين المصالح المتضادة ليس سوى نتيجة صراع استراتيجي ولقد حاول هابر ماس رفقة زميله كارل أتوابل وضع تصور لأخلاق المناقشة التي تتميز بالبرهنة كطريقة لتسوية المسائل الأخلاقية ، بحيث أن الفهم الأخلاقي و السياسي للكيفية التي نريد أن نعيش بها نحن كأفراد لجماعة معينة يجب أن تتناسب مع المعايير الأخلاقية و يجب أن ترتكز المناقشات على تبادل الحجج و الأدلة التي يجب أن تؤدي إلى طرق تراض مستقيمة.

إن الإجماع عند هابرماس هو غاية في ذاته يدرك بعد المناقشة العقلانية و التي يشارك فيها كل المعنيون و هو يتأسس انطلاقا من " فحص صلاحية كل المعايير بما في ذلك الأوامر الأخلاقية أو حتى مبادئ العدالة نفسها³ " ، فهناك قول ملوث و قول مطهر و النقاش و ما يرتبط به من معايير وادعاءات الصلاحية والحجج و البراهين إنما يسعى إلى تطهير القول الملوث و التطهير يكون من تلك الدوافع الخفية أو النوايا الخبيثة للمشاركين، فالنقاش هو التعامل مع أقوال ملوثة بغية تطهيرها للوصول إلى **إنفاق و إجماع عقلائي** *rationnellement Consensus* الذي أصبح ذلك القول المطهر، فالعمليات

¹ - سمير اليوسف, بين هابرماس و كارل أتوابل، إمكانية تبرير المبادئ ملزمة كوني مجلة نزوي، العدد 41، ص 05

² - عزالدين الخطابي، الفلسفة السياسية، مرجع سابق، ص 164

³ - محمد عبد السلام الأشهب، مناظرة هابرماس و رولز، مرجع سابق، ص 146

المنتجة عند هابرماس لا تكمن في شكل التفاهم بل في مضمونه المحتمل. فتحصيل العالم المعاش يبرر طاقة العقل المتضمنة في الفاعلية التواصلية.

يعتقد هابرماس أن دعاوي الصلاحية مثل الوضوح و الجدية و الصدق دعاوي كلية، تتحقق في سائر المجتمعات على أنحاء متباينة ، لذا يميز هابرماس بين نوعين من السلوك ، السلوك الغائي وهو ما يسميه بالإستراتيجي و سلوك تواصلية ، و هذا الأخير يخضع للمبادئ القبلية و الكلية لأنه يتشكل عن طريق الإجماع عبر الحجج المتبادلة وفق الاعتماد على وسيلة لبلوغ أغراض شخصية ما.

إن الأخلاق الكانطية ظلت الهاجس الأول لدى هابرماس إذ اعتبرها إرث لا يمكن التفريط فيه لذا ظلت بمثابة الخيط الناظم لنظريته الأخلاقية ككل، حيث عكف بعد تحيينها و تجديدها على تكيفها مع متطلبات مجتمعاتنا اليوم ، لذا نجد هابرماس يلزم الذوات المتحاورة بالقواعد الصورية من أجل الوصول إلى إجماع عقلاني، و هذا ما استمده هابرماس من النظريات الحجاجية لتولفين ، حيث قارن هابرماس بين هذه النظرية في المحاجة و بين الأمر المطلق لكانط و توصل إلى هذه العلاقة حيث " يأخذ إجراء المحاجة الأخلاقية في أخلاقيات المناقشة المكان الذي تحتله مقولة الأمر المطلق في الأخلاق الكانطية ¹ " و هذه النظرية الحجاجية *Argumentatif Théorie* استعملها هابرماس من أجل تأسيس مبدأ الاستدلال في الأخلاق تماما مثلما هو حاصل في المنطق و العلوم التجريبية، فقيام الأخلاق الهابر ماسية على المعايير الصالحة و القابلة للتعميم هو الذي يجعلها امتداد للأخلاق الكانطية حيث تكون المعايير الأخلاقية مبنية على الاعتراف المتبادل و المحفز عقلانيا دون تدخل العوامل الثقافية التاريخية و العرقية... الخ إنها أخلاق سياقها الوحيد هو العالم المعيش، فباعتبار أن هابرماس يجمع في أخلاق المناقشة بين وجهة نظر الأخلاقية ومبدأ المناقشة بوصفه مبدأ مكمل لمبدأ الكونية فان نظريته تنطلق من " سياق العالم المعيش الذي يشكل إطارا لتفاعلات متوسطة باللغة ² " كما لا يوجد عند هابرماس مبرر واحد كما لا يدافع عن مضمون معياري واحد بل تتطلب أخلاق المناقشة باعتبارها عملية إجرائية ، تأسس لإجراءات سليمة لبلوغ معايير خالية من الهيمنة و السيطرة ،حيث تتمثل الإجراءات السليمة و الصحيحة في الاحتكام إلى الصلاحية العقلانية للأحكام الأخلاقية.

J. Habermas. - De l'éthique de la discussion, tr. mark Hunadi.- ed flamarion ,1992,p, 17 - 1
ibid,p139- 2

ما يمكن أن نلاحظه بخصوص شروط صحة الخطاب الأخلاقي هو أنها تستهدف الحيادية التي تعني الابتعاد عن المصالح الشخصية ، حيث يكون دافعها المصالح العامة في الحوار فهي تؤكد على المشاركة، بمعنى تخص الأطراف المتحاورين و لا تعني وجود أشخاص آخرين غير معنيين بالحوار، فهي تعني القرار للحجة الأفضل ، فالحيادية إذن عند هابرماس تكون داخل الجماعة المشاركة من أجل أن "يتحمل الجميع مسؤوليته في المعايير المتفق عليها".¹

إن المعيار الأخلاقي لا يكون مقبولاً إلا إذا كان يحقق بالبرهان المصلحة القابلة للتعميم هذا المبدأ الذي استقاه هابرماس من كانط ، إلا أن ثمة اختلاف في مفهوم المبدأين حيث يقيمه كانط على إجراء عقلي فردي فيما يقيمه هابرماس كإجراء اجتماعي و هو يميل في تصوره إلى الفيلسوف الأمريكي ميد ، الذي يطلق على مبدأ التعميم اسم "التبني المثالي للأدوار" حيث يشبه التعميم باللعبة الجماعية ، أين يلعب الفاعلون الأخلاقيون معاً، مع تصور جميع اللاعبين أنهم مكان الآخرين و هذا ما يطلق عليه ميد *George Herbert Mead (1863-1931)* موفق "الأخر المعمم". صحيح أن الفاعل لا يتحرك إلا وفق ما تمليه عليه مصالحه إلا أن هذه المصالح قابلة للتعديل حيث تعتدل وفق إدراكه لمصالح الآخرين لتعطينا في الأخير ذات أكبر تترابط و تتلاقى فيها مصالح الجميع و هذه الذات هي المجتمع . يقول هابرماس في كتابه الحقيقة و التبرير " *Vérité et justification* يجب أن يكون كل منا قادراً على أن يضع نفسه في موقف كل اللذين قد يتأثرون بأداء فعل إشكالي أو تبني معيار مشكوك فيه"² و من ثم فإن الخطاب الخلقى هو الملجأ الأول للأفراد المتنازعين داخل العالم المعيش حيث تكون المعايير الأخلاقية هي الفاصل الوحيد لحل هذه النزاعات و المعيار الذي يتحدث عنه هابرماس ليس هو القيمة لأن القيمة نسبية تختلف من مجتمع لآخر و من زمان لآخر و هي مشروطة ترتبط بالعقول و المجتمعات و الأديان بينما المعايير الصحيحة لا قيد و لا شرط فيها . إن المعيار الأخلاقي الصحيح يصمد في نقاشات مختلفة و مجتمعات متعددة أما القيم فلا تصمد إلا في مجتمع محدد و ثقافة بذاتها.

¹ Habermas, *Vérité et justification*, Tr; Rainer Rochiez et Christian Bouchindhomme, Gallimard, 2001, p231-
² جيمس جوردون فينيلسون، بيور جين هابرماس، مقدمة قصيرة جداً، متر أحمد الروبي، دار هنداوي، ط 1، القاهرة، 2015، ص 106

إن الأخلاق الكلاسيكية كانت قائمة على العادات و التقاليد والعواطف والمشاعر حيث يتصور نيتشه¹ أن أصل العدالة موجودة داخل العواطف والمشاعر الإيجابية¹ هذه الأخلاق عجزت عن مواجهة العقل الأداتي ، هذا العقل الذي تسبب في العديد من الأمراض الاجتماعية كالتشيز و الاغتراب لذا وجهت سهام النقد للأخلاق الكلاسيكية أكثر من غيرها إلى جانب العلم و التقنية ، وتطرح هذه الانتقادات بديلا لهذه الأخلاق يتمثل في أخلاق المناقشة و المحاججة عكس الأخلاق الكلاسيكية القائمة على الأوامر و النواهي و الإيمان بالمعتقدات ثم التخلي عنها لصالح أخرى .فأخلاق المناقشة تقوم على الاستدلال المنطقي لاستخراج المعايير التي تضمن التواصل الاجتماعي و تحقيق الكونية على أساس تداولي ، لتصبح تتصل بالإنسان مباشرة بل هو الذي يشارك في وضعها مع جماعة أخرى، فهي تخص الكل و الجميع دون استثناء و لا تقصي أي مضمون فهي أخلاق تحارب الميتافيزيقا مادام أنها تقوم على الحجة و البرهان . ولا مجال للإدعاء الحقيقة دون الاعتماد على الآخرين إنها أخلاق لا تؤمن بالحقيقة الواحدة ، بل بمجموع الحقائق تلك الحقائق العقلانية التي تشكلت من خلال آراء ومواقف مختبرة مع الآخرين ،فزمن الحقائق الكاملة قد ولى . فلا الذات و لا الجماعة قادرة على ادراك و بلوغ الحقيقة لأن الحقيقة هي ما نتفق عليه عن طريق النقاش، لذلك ارح هابرماس يؤسس أخلاقيات التواصل على " مبادئ عقلية تستمد بعض عناصرها من التداوليات العامة لأن هذه لتداوليات هي التي تسمح بالتفكير في الأساس الذي يجعل من التلفظات أو أفعال الكلام حقيقية و دقيقة"².

المطلب الثاني: الخطاب الأخلاقي و أولوية الخلق على الأخلاقي

لعل من أهم ما يمكن للقارئ ملاحظته على الفلسفة الأخلاقية لدى هابرماس هو محافظتها على المقاصد الكبرى للأخلاق الكانطية مع بعض التعديلات البسيطة في تأسيس المعايير الأخلاقية على مبدأ البيذاتية القائم على الحوار و المناقشة وهذا ما تؤديه العقلانية التواصلية من حيث أنها " تنظم عملية التفاعل بين الأفراد و تصوغ فهم الجماعة لذاتها ،و طريقة فهمها للمعنى و يظهر هذا النوع في المجال الأخلاقي الذي ينظم الشرائع و المعايير

¹ - Nietzsche, la généalogie de la morale, tr ;isabelle hildenbrand,ed,gallimard , 1971p122

² - نورالدين أفاية،الحداثة والتواصل ،المرجع السابق،ص 207.

الجاري العمل بها¹ ، فهناك ارتباط وثيق بين العقل التواصلي و الأخلاق عند هابرماس وهذا في إطار ما يسمى بالعقل الكوني ، فالعقلانية التواصلية هي عقلانية كونية، و الأخلاق ترتكز في شروطها على التعميم و الكليانية و الكونية و من ثم " فالعقلانية التواصلية هي حافز العقل العملي ، تقدم معيارا يتيح الحكم على شفافية السبل الاجتماعية ، و هي تتيح كذلك تصور لبناء " الحق " و يفترض سلفا تعميمها كليا للمصالح بوصفه جملة الشروط الضرورية لاتفاق الحريات ، أي الكلي في الحق كما في الأخلاق لا يبدو على أنه معطى بل أنه مطلب يتحقق ضمن الاتصال² . و مادام أن علاقة الأخلاق بالعقلانية التواصلية علاقة لا نقاش فيها فإن اللغة في تصور هابرماس هي مفتاح الأخلاق حيث أنها براغماتية و كلية ، و من ثم فهي طريق للعقل العملي ، و في هذا تقاطع بين هابرماس و كانط الأول من خلال فكرته في التعميم الكلي و الثاني من خلال فكرة الأوامر القطعية ، فالأمر القطعي " في ما بعد الحداثة يبدو مرتبطا بالاتصال الذي يقدم فهما جديدا للعقل العملي³ " فالتواصل لا يمكن أن يكون إلا إتيقا المناقشة التي تقوم بدورها على عدم دعوى امتلاك الحقيقة، فحسب إتيقا المناقشة " لا يمكن إدعاء صلاحية معيار ما إلا إذا اتفق كل الأشخاص المعنيين باعتبارهم مشاركين في نقاش عملي حول صلاحية معياريا ما⁴ " فالإتيقا إذن تهتم بالإطار المرجعي الذي تجري فيه المناقشات العملية ذات الطابع المعياري كما تقوم على معرفة الإجراءات التي تم إتباعها في تبرير صلاحية معيار ما فهي معايير تعمل و توضع لتنظيم العملية التواصلية في المجتمع ذلك التواصل الذي يتم بين الأفراد في إطار اللغة و النقد.

يشير هابرماس في العديد من سجالاته إلى مسألة إتيقا المناقشة و علاقتها بالتواصل من حيث أنها مجال مهم لفهم الإنسان و العالم المعاصر فهي تحدد وجود الإنسان و من ثم فالإنسان هو كائن إتيقي تواصلي، مما يجعل مفهوم التواصل عند هابرماس يلامس حقولا عدة من بينها إتيقا المناقشة .والمكون و الرابط الأساسي بينها جميعا هو اللغة ، ولغة

¹ - عبدا لرزاق بلعقروز، تحولات الفكر الفلسفي المعاصر، منشورات الاختلاف، ص 88

² - جاكين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، تر، عادل العواويديات للنشر، بيروت، ص 77 .

³ - المرجع السابق، ص 78

⁴ - Habermas, Morale et communication ,op.cit,p87

ليست هي الرابط بين التواصل و اتيقا المناقشة فحسب بل الرابط بين العقول جميعا .فاللغة تمثل أرقى أنواع التخاطب و التواصل.

يرى هابرماس أن إدراك التوافق بين المشاركين في مناقشة ما هو إلا إدراك القاسم المشترك لهؤلاء ، و ذلك بقيام كل واحد من المشاركين بتبني رواية الأخر، و الغاية من هذا هو دفع الأنا للخروج من مركزيته و ذاتيته و أنانيته بغية تكسير الشمولية و الكلية في فهم العالم و من ثم اكتشاف كل مشارك النظرة التي تخدم مصلحة الجميع للوصول إلى ضبط الحلول اللازمة للإشكاليات المطروحة.

فالأخلاق عند هابرماس إذن شأنه في ذلك شأن زميله كارل أتوابل تعتبر مكون أساسي للعقلنة و التواصل ، و رغم ما تشكله الأخلاق الكانطية من أساس و مرجعية لهذه الأخلاق إلا أنها تنتقدها بشدة كونها لا تحمل سوى مجموعة من الواجبات الصورية إضافة إلى طابعها الترنسندنتالي،عكس الأخلاق التواصلية التي هي أخلاق تبنى على الحوار و البرهان و من ثم فهي واقعية تقوم فيها الحقيقة على الحجاج و البرهان العقلي، وسيلتها في ذلك اللغة و التداول وهذه الأخيرة قائمة على شروط معيارية تتصف بالصدق و المصادقية و الصلاحية والمعقولية، فاللغة حاملة للعقلانية *Rationalité* .

المطلب الثالث: وظيفة الخطاب الأخلاقي

إن النقاش الذي يراهن عليه هابرماس في فلسفته هو الحل و المخرج الوحيد من فلسفة الذات من جهة و التخلص من دائرة السرديات الكبرى من جهة ثانية ، فلم يعد لهذين الأخيرين أية وظيفة أو دور في عالمنا اليوم ، فلا بد من المرور إلى إعادة بناء الخطاب الفلسفي وذلك بتفعيل الخطاب اللغوي انطلاقا من تلك الأعمال التي كان لها صدى بالغا في مجال اللسانيات كأعمال أوسيتين و سيرل و كار سكي و فينج شتين ، لأن ثمة علاقة بين الإيتيقي و اللغوي يجب الكشف عنها لإعطاء الخطاب الفلسفي أكثر حرية . فلا أحد يشك في دور اللغة في الحوار الإنساني حيث يجب ترسيخ الاعتقاد بدور إتيقا التواصل و اللغة التداولية في تحقيق منعرج نهضوي للراهن الفلسفي.

ثمة سيميائية هامة سيجد فيها هابرماس أفضل حجة *meilleur argument* لتدعيم نظريته في إتيقا النقاش اللغوي و هي سيميائية بيرس التي تربط بين الحقيقة و الإقناع و

التواصل، حيث يعطي هذا الربط فاعلية للغة في الخطاب ، إضافة إلى الدور الذي يلعبه العالم المعيش و ما يحمله من معتقدات و قناعات سابقة و لغة متداولة ، حيث تحمل اللغة هذه القناعات والمعتقدات أينما حلت ، يقول هابرماس بخصوص دور المعتقدات في أخلاقيات النقاش " إن المعتقدات تلعب دورا مغايرا في الوقت الذي تقوم بإرساء حقائقها وفق طرق متباينة شعارها في ذلك التمسك بالنشاط و إغفال المقالات و الأقوال بأنواعها . وهذا ما يجعل الفاعلين في عالم معيش معطى خاضعين لقناعات مسبقة يتأثرون بها في حلهم و ترحلهم¹ " ومن بين هذه المعتقدات التي يمتلكها الأفراد مسبقا نجد اللغة حيث يفرق هابرماس بين المنطوقات الأخلاقية و المنطوقات الوصفية على المستوى اللساني ، فالأولى تبين لنا ما يجب علينا فعله أو ما ينبغي علينا فعله أما الثانية فنرى بها الأشياء كما تبدو في علاقتها المتداخلة و المتشابكة و من ثم تكون إتيقا المناقشة لها وظيفة محددة إذ تقوم بشرح المضمون المعرفي لمطوقاتنا الأخلاقية . وهذا المنعرج الهابر ماسي للغة كان وليد تلك الضجة اللغوية و المنطقية التي أحدثها كتاب أوسيتين "كيف تصنع الأشياء بالكلام" و الذي يمكن أن نضعه في إطار نقدي تداولي إذ اكتشف أ وستين عجز التصورات المنطقية للدلالات الفلسفية و هذا ما حاول هابرماس أن يوسعه من خلال ترسيخ قاعدة للتفاهم إذ يحاول " التركيز على المنعرج اللغوي من جهة أخلاقيات الحوار و هو يحرص على التوظيف التداولي الذي يسمح بمساهمة كونية تخرجنا من دائرة الأفق الضيق للذات إلى المشاركة و التبادل الحقيقي للرأي² ."

يتضح لنا أن هابرماس يراهن على الخطاب الأخلاقي القائم على النقاش في ترسيخ قيم التواصل ، لذا عمل على تطوير البعد التداولي لهذا الخطاب من خلال تركيزه على المنعرج اللساني و ذلك من أجل إيجاد تطابق بين الفكر المجرد و الواقع حيث أن هذا التطابق في حد ذاته هو أحد الوظائف الأساسية للخطاب الأخلاقي ، فوظيفته تكمن في "

¹ -يورغن هابرماس، إيتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة، تر عمر مهيل، منشورات الاختلاف، ط 1 ، 2010 ، الجزائر، ص 60

² - الناصر عبداللاوي، التواصل والحوار في أخلاقيات المناقشة في الفكر الفلسفي المعاصر، دار الحوار ، ط 1 بيروت،

توضيح العلاقة الداخلية بين الفهم الممكن لأفعال اللغة وبين ما يفترض أن نعرفه عن شروط الإمكان القادرة على توضيح مزاعم الصلاحية لدى أفعال اللغة¹ و هذا ما اعتبره الكثير من النقاد على أنه نوع من ترانسندنتالية كانطية تعيد هابرماس إلى العقل المحض ، بدل من تداولية اللغة وهذا الوقوع في المحذور الذي وضعه هابرماس بنفسه هو الذي جعله يحاول إعادة الكرة أي محاولة تحديد وظائف الخطاب الأخلاقي و ذلك في المجال السياسي للابتعاد عن هذا التعالي الذي أتهم به في كثير من الآراء و المواقف ، حيث استعمل هابرماس نظرية أخلاقيات النقاش في دفاعه عن طرحه في الدولة العالمية، فهو يرى بأن الإتيقا من شأنها أن تقلص الشعور بالانتماء إلى القومية من خلال التواصل و النقاش فهي تمنح المتحاورين الحافز الذي يجعلهم يمارسون حقوقهم كونهم كائنات بشرية وليس ككائنات قومية ، لأن الإتيقا القائمة على الحوار تؤمن بالتنوع و لا تؤمن بالهوية الثقافية الواحدة و هذا ما يجب حسب هابرماس أن يتكفل به " أعضاء المجتمع السياسي المنظم حول تفكير منطقي وطني دستوري وقع إ عادة فهمه في إطار ذوات حقوقية تم الاعتماد عليها قبل كل ديمقراطية عالمية لحقوق الإنسان² لا و شك أن ثمة دواعي لدى هابرماس في عودته إلى الكانطية في جانبها الأخلاقي و السياسي، بالنظر إلى مدى إسهام هذا المبحث الأخلاقي في تعزيز البراديغم التواصلية الذي شكلا لإطار العام لفلسفته. بالنظر إلى قربه من كارل أتوابل في هذا المجال قام هذا الأخير .

فهابر ماس لا يسعى إلى وضع المعايير الأخلاقية كما هو الشأن عند كانط ولكن الأخلاق عندهما مبحث إجرائي يسعى إلى و ضع الشروط الضرورية لتنظيم الحوار، و التي يجب على المناقش الالتزام بها للوصول إلى حلول عقلانية لتتحول في ما بعد إلى معايير أخلاقية كونية تحفظ حقوق و مصالح كل الأطراف ف المشاركة " فأخلاقية المناقشة هي أخلاق إجرائية خالية من أي مضمون معياري³ و منه يمكن القول أن نظرية أخلاق المناقشة عند هابرماس هي عبارة عن معايير أخلاقية تذاوتية لا تنظر إلى الاتفاق النهائي فحسب بل تنظر كذلك إلى المر احل التي تم عبرها الوصول إلى هذا الاتفاق. بمعنى الإجراءات المتخذة و الخطوات المعتمدة للوصول إلى القانون الكلي ، وبتعبير آخر

J. Habermas. - De l'éthique de la discussion,iop.cit,p140 - ¹

J. Habermas. - De l'éthique de la discussion,op,cit,p45-46. - ²

Habermas , J ;droit et démocratie ;entre faits et normes ,tr , rainer rochiez ,et - ³
christianbouchindhomme 1997,p139.

ليس الغاية هي القانون الكلي الذي يتوصل إليها و لكن الإجراءات السلمية الصحيحة التي تم اعتمادها للوصول إلى هذا القانون ، ولقد حددها هابرماس في كتابه **أخلاق المناقشة** كالآتي " أفهم مناقشة عملية بوصفها إجراء يستعمل لا لإنتاج معايير مبررة فقط بل لفحص صلاحية المعايير التي سبق لها أن كانت موجودة، لكنها أصبحت إشكالية و متفحصة من زاوية افتراضية ، إن المناقشات العملية تحدد المواضيع و القضايا التي تنتظر أن يتفاوض حولها¹ " و هذه الصورة تجعل الأخلاق الهابر ماسية أخلاق غير جاهزة و غير محددة كما أنها غير مطلقة و غير ثابتة بل تكون نتاج المناقشة فهي تابعة للكفاءات التي تستعملها و تتناقش حولها مما يجعلها قابلة للتغيير و التطوير لذا يعتبر النقاش و الحوار هو سر قوة أخلاق المناقشة.

إن تأسيس أخلاق المناقشة على أساس الحوار الذي يدور بين الأفراد و يمكن قراءته من زاوية إن هابرماس يسعى لجعل الأخلاق أكثر واقعية و أكثر مطابقة لما يتداوله الناس باعتبار أن التطابق بين **النظري والعملي** هو أحد أهداف مشروع هابرماس الفلسفي كما يمكن فهمه على أنه تمهيد لأخلاق دنيوية و علمانية ترفض اعتماد المصادر الميتافيزيقية و اللاهوتية فهذه الأخلاق تعتبر لدى هابرماس بمثابة الحل لمختلف أزمات المجتمع الحديث المتميز بالتعقيد و التعدد الثقافي و العرفي و السياسي و الذي تعذر على مختلف البرامج و النظريات الأخرى الوصول إليه.

مما سبق يتبين لنا أن هابرماس يحذو أملا كبيرا في جعل الأخلاق الكانطية حية و ذلك بالتمسك بالفكر الأنواري حيث قام هابرماس مع بداية التسعينات بمراجعة الأمر **المطلق لكانط** و لكن في إطار البيذاتية لجعل هذه الأخلاق أكثرا رهنية و واقعية كما سبق الإشارة إليه، حيث يقول في مقدمة كتابه **أخلاقيات المناقشة** " لقد شرعنا في السنين الأخيرة أنا و زميلي كارل أتوبل في محاولة إ عادة صياغة ما نسميه مسألة تأسيس المعايير، أي الأخلاق الكانطية و ذلك بالاعتماد على وسائل مستمدة من نظرية التواصل² " يعتبر هابرماس مبدأ الكونية كقاعدة حجاجية بديلا للأمر المطلق لكانط بحيث فعوض أن أفرض

ibid,p35 – 1

ibid,p15– 2

قاعدتي على الباقي أو على الآخرين و التي أريدها أن تصبح كونية " يجب أن أ خضع قاعدتي لكي يفحصوها بالمناقشة ويمنحوني ادعاءات صلاحيتها الكونية¹ ". يبدو الآن الفرق واضحا بين الأخلاق الكانطية و الأخلاق الهابر ماسية ، و بالخصوص الأخلاق الكانطية المتعلقة بالأمر المطلق حيث أنها عبارة عن أوامر موجهة إلى المخاطب بينما عند هابرماس غير موجهة لطرف معين بل هي عامة، فلا و جود لصيغة الأمر لدى أخلاق هابرماس و مبدأه الكوني ، هذا المبدأ كما أوضحناه سابقا نابع من تعقد الحياة و تشابكها اجتماعيا لذا كان أكثر تجريدا و كونية، يقول هابرماس عن هذا التجريد في كتابه **الحقيقة والتبرير** " فتعددية أشكال الحياة و المشاريع تلزمننا في نفس الوقت أن نتفق حول معايير أكثر تجريدا و أكثر كونية²" ويبدو أن هذا الرأي موجه إلى نقاده الذين يرون أن أخلاق هابرماس أخلاق ترنسندننتالية كانطية مجردة و بعيدة عن الواقع .ولكن و على غير العادة لن ينصت هابرماس هذه المرة لمعارضيه إذ سيصبح أكثر قربا من كانط في أعماله الأخيرة حول البيواتيقا حيث تبنى الصيغة الثانية للأمر المطلق وذلك عندما يقول كانط " تصرف دائما بحيث تعامل الإنسانية في شخصك أو أي شخص آخر غيرك و لا تعامله فقط بوصفه مجرد وسيلة³ ".

وهكذا فإن الأخلاق التي ينشدها هابرماس أخلاق إنسانية إي تعتمد على الإنسان من حيث وصفها و كذلك تطبيقها فهي أخلاق دنيوية علمانية عكس أخلاق المرحلة العرفية التي تغيب فيها الحجة و يحضر فيها الخضوع للأعراف دون مناقشة خوفا من فقدان الروابط الاجتماعية.

لذا تؤكد أخلاق هابرماس على أن أي معاملة تفترض بأن كل فرد يعامل الآخر بصورة أنه يشكل عضوا من جماعته. ومنه ثمة اختلاف و فرق واضح بين الأخلاق الكانطية وأخلاق المناقشة لدى هابرماس ففي الوقت الذي ينادي كانط بالقيم الأخلاقية ينادي هابرماس بالمعايير الخلقية و في حين يمكن اعتبار خطاب كانط أخلاقي فان خطاب هابرماس خطاب خلقي يكمن دوره في فسح المجال لكل الخطابات دون تغليب خطاب على آخر و المعايير الخلقية تتوقف على القيم الأخلاقية التي تتعارض معها ،كما يتأكد من

¹ - Habermas, Morale et communication, op.cit,p88-89.

² - Habermas, Vérité et justification, op.cit,p23

³ - إيمانويل كانط، أسس ميتافيزيقا الأخلاق، ت عبدا لغفار مكاي، الدار البيضاء، 2006، ص108

خلال اعتماد الخطاب الأخلاقي لدى هابرماس على الحجاج استفادته من الفلسفة الأخلاقية الأمريكية و بالخصوص ميد الذي استفاد منه هابرماس العديد من الدروس كم ا رعاة المناقش لحضور الغائب حيث يجب أن يشمل الخطاب و النقاش أولئك الذين لا حضور لهم، و أن تكون الخطابات ثنائية الحوار عكس أحادية الحوار الكانطي و ذلك حتى تكون المعايير الصحيحة قابلة للتعميم ومناسبة للجميع.

المبحث الثاني: هابرماس والتأسيس لأخلاق الجنس البشري

1. تهذيب الطبيعة البشرية

2. أخلاق الجنس البشري

المبحث الثاني: هابرماس والتأسيس لأخلاق الجنس البشري

تمهيد:

إن الحقيقة التي لا يختلف عليها اثنان هي: أن الهندسة الوراثية قدمت ولازالت تقدم للبشرية خدمات جليلة، لكن في الوقت نفسه، الكل يدرك المخاطر التي تحدق بالوجود البشري نتيجة الاستخدامات المنحرفة لهاته التقنية، فهل نضحي بالعلم لكي نحافظ على وجودنا البشري، أم ينبغي أن نرافع لأجل العلم وصيرورته التقدمية؟

المطلب الأول: تهذيب الطبيعة البشرية) *Moraliser la nature* (humaine):

الهندسة الوراثية ليست كلها شر، حتى نقف مع التيار المحافظ الداعي إلى التضحية بالعلم ورفض قيم الحداثة والتنوير (Enlightenment)، ولا هي كلها خير، حتى نقف مع دعاء تطبيق المبادئ الليبرالية بحذافيرها في مجال الهندسة الوراثية، هذا الذي رافع لأجله "هابرماس"، فإذا كان التيار المحافظ يدعو إلى العودة إلى قيم عصر ما قبل الأنوار، فإن "هابرماس" يرفض هذه الردة ويدافع عن قيم الأنوار، عن العقل وحرية الإنسان واستقلاله الذاتي.

لكن الذي يخشاه "هابرماس" هو أن تُستغل هذه الحرية والاستقلالية، خصوصا داخل المجتمعات الليبرالية في أعمال تمسُ بهوية الشخص واستقلاله الذاتي، فإذا كنا على جهل (Ignorance) بالذي يخبئه لنا العلم في مجال الهندسة الوراثية، فإنه ولكي لا نصل إلى المرحلة التي يفقد فيها الإنسان السيطرة على هذا المجال، يذهب "هابرماس" إلى ضرورة تهذيب الطبيعة البشرية.

وتهذيب الطبيعة البشرية) *Moraliser la nature humaine* (كمصطلح لا ينبغي أن يُفهم منه على أنه مقاومة صماء للحداثة، لأن "هابرماس" يذهب إلى أنه " يجب الحفاظ على

الشروط التي يمكن للفهم الذاتي العملي للحدث أن يستمر¹ ومحاولة من هذا القبيل "ستكون بدورها عملا سياسيا يخضع لنشاط أخلاقي ذاتي المرجع"² وإنما هي رفض ووقوف ضد التدخلات الوراثية ذات التوجه الإيجابي، التي تعمل على المس بحرية الطفل واستقلاله الذاتي، مما يساهم في عدم ولوجه الفضاء العمومي بطريقة سلسة، مقارنة بأقرانه الذين لم تتم برمجتهم وراثيا.

وبما أن الأخلاق تتعدد بتعدد الشعوب والثقافات، فإن "تهذيب الطبيعة الإنسانية" ليس الدعوة إلى أخلاق بعينها بعد أن أزال عصر الأنوار التهويمات السحرية للعالم، وعالم الحقيقة الواحدة والمطلقة، بقدر ما يريد أن ننزع صفة التقديس والإعجاب والانبهار المفرط أيضا عن الأسس البيولوجية والتقنيات الإيحائية والنزعة العلمية، بعد أن أسقطت التهويمات الغيبية وسلطة الميتافيزيقا أو الحقائق المطلقة³

فكما أن "هابرماس" يرفض الميتافيزيقا ويعمل على زعزعة قيمها، فإنه أيضا يرفض هذه الحالة من التقديس والإعجاب التي أصبحت تتمتع بها العلوم البيولوجية؛ لذلك فتهذيب الطبيعة الإنسانية، ليست دعوة للارتكاز على مرجعية ثابتة، إذ لا يخفى على فيلسوف التواصلية والحجاج (Argumentation) أن الأخلاق تتعدد مرجعياتها وتَبَايُنُ رُؤَاهَا تبعاً لمعتقدات وثقافات الشعوب، إنما المقصود منها حاجة البشرية " لأقلمة تقدم التقنية البيولوجية مع البني التواصلية للعالم المعيش التي تظهر بكل شفائيتها إن نظرة من هذا النوع لا تدفع باتجاه إعادة سحر جديد، بل من أجل قوة حدثا تتعلم من حدودها الخاصة أن تصبح تأملية"⁴، فالذي يدعوا إليه "هابرماس" هو ضرورة أن تُواكب الحدثا التقنية حدثا خُلُقِيَّة،

¹ - يورغن هابرماس، مستقبل الطبيعة الإنسانية، مصدر سابق، ص 36

² - حسن مصدق، يورغن هابرماس ورهانات مستقبل الطبيعة الإنسانية، ضمن كتاب: البيوتيقا ومهمة الفلسفة، مرجع سابق، ص

261

³ - مرجع سابق، ص 261

⁴ - يورغن هابرماس، مستقبل الطبيعة الإنسانية، مصدر سابق، ص 37

تستمد شرعيتها من العقل (La Raison) ، تعمل على حماية الخصوصية الوراثية من التدخلات الوراثية الإيجابية.

المطلب الثاني: أخلاق الجنس البشري (Ethique de l'espèce humaine)

تكمن المعضلة الأساسية في مجال الهندسة الوراثية في الوضعية القانونية والأخلاقية للحياة الإنسانية ما قبل الشخصية، حيث رأينا كيف أن الآراء قد تعددت حول هاته المسألة، فهناك من يعتبرها حياة تستحق الاحترام، في حين يذهب فريق آخر إلى اعتبارها حياة خالية من أي حكم أخلاقي، مما يعني حرية التصرف والتدخل فيها.

ولكي ينقل "هابرماس" من التوجه النسالي الليبرالي (Liberalism) ومن أجل تقنين

الممارسات النسالية، يؤسس "لأخلاق" الجنس البشري" (Ethique de l'espèce) **humaine** ، وهذا من خلال دمج الأخلاق في أدبيات النوع البشري، إذ أن هذا الدمج يقول "هابرماس": " يقدم لنا ملاذ آمن من حيث أن فهمنا لأنفسنا بهذه الطريقة سيجعلنا نعي قيمة هذه الأخلاق ومفترضاتها"¹، وتكمن هذه القيمة في " عدم الضرر الأخلاقي للتدخلات في الجهاز الوراثي لأعضاء محتملين في جماعتنا الأخلاقية"²، وفي عدم الحساسية، وكذا قدرة المرء على الاستقلالية الذاتية، وعلى استعمال حريته وتشكل حياته الأخلاقية بمحض إرادته. ويتأتى هذا من خلال منع الوصول إلى الخصوصية الوراثية للأفراد والإطلاع عليها، وأخلاق" الجنس البشري" هي التي تركز هذا الحق، في عدم المعرفة أو الإطلاع على الطاقم الوراثي لأي شخص، فالصدفة والحق في مستقبل مفتوح، والجهل بالمورثات، جزء لا يتجزأ في اعتقاد " هابرماس" من حريتنا الفردية واستقلاليتها.

¹ - المصدر السابق، ص 116

² - المصدر نفسه، ص 56

وبما أن المراهنة على حكم أخلاقي واحد لهو أمر من قبيل الوهم والاستحالة، فإن "هابرماس" يذهب إلى " أن ما سيشكل الرهان مع الاستخدام الأدوات للحياة ما قبل الشخصية لهو الفهم الذي يمكن أن يكون لنا عن أنفسنا من منظور أخلاقية النوع البشري، وبهذا نستطيع أن نقر ما إذا كان بإمكاننا أن نستمر في فهم أنفسنا بوصفنا كائنات قادرة على الفعل وعلى الحكم الأخلاقي، وعندما نتقصنا أسباب أخلاقية زاجرة فعلينا ... أن نلتزم بإشارات السلوك الأخلاقي اللازم للنوع"¹ ، وهي إشارات يشترك فيها الجنين وهو في أحشاء أمه، كما يشترك فيها الشخص بعد الولادة وبعد الممات، فالجنين والأطفال الخدش وحتى الأموات هم كائنات حاملة للنوع البشري، مما يستلزم النظر إليهم نظرة أخلاقية، وأن نتعامل معهم من منطلق الغاية لا الوسيلة.

¹ - يورغن هابر ماس، مستقبل الطبيعة الإنسانية، مصدر السابق، ص 87

المبحث الثالث: التواصل والأخلاق

1. أهمية التواصل

2. أخلاق القانون

المبحث الثالث: التواصل والأخلاق

تمهيد:

لقد عمد "يورغن هابرماس" في معالجته للمشكلات المستجدة في ميدان الحداثة والتطور العلمي في ميدان البيولوجية إلى الارتكاز على مشروعه التواصلية، الذي رأى فيه المخرج الحقيقي الذي بإمكانه أن يُقدم حلول على معقولة ومقبولة للمسائل التي تطرحها العلوم الحديثة ككل، والهندسة الوراثية (Génie Génétique) على وجه الخصوص، فكيف نؤسس - مع "هابرماس" - "بالعقل لحماية إرث جيني لا تلاعب فيه؟

المطلب الأول: أهمية التواصل

إن عصرنا ليثير الدهشة والاستغراب، الإنسان يمتلك فيه كل شيء، وفي الوقت نفسه لا يملك أي شيء، مما جعله يعيش في دوامة من التشنُّج والقلق، وهذا راجع إلى "انقطاع الهوية الكائنة بين الاكتمال التقني للأجهزة والأدوات والانتقاص الروحي لدى الإنسان . أي العلاقة العكسية بين التكاثر الكمي للأشياء والتناقص الكيفي للقيم البشرية"¹، **فعالم الأشياء** يشهد وتيرة نمو مُتسارعة مقارنة **بالعالم المعيش** الذي يفقد يوماً بعد يوم بريقه وجوهره، وهذا ما ينذر بوجود "قطيعة مروعة في المسار الثقافي تجعل من عالم الأشياء في تفنن دائم ومن عالم الأشخاص في انحدار مستمر"².
فالخوف و إن كان مشروعاً ليس من العلم أو من مُنجزاته، وإنما هو من الإنسان ذاته، كيف هي نظرتة إلى العلم، وإلى أية أغراض وُجّه؟ هل نحو مستقبل زاهر تنعم فيه البشرية بالأمن والأمان، ويكون فيه الإنسان غاية في حد ذاته، أم مستقبل يتغول فيه الإنسان على الإنسان، يعامل شأنه شأن الأشياء الأخرى، باعتباره وسيلة لتحقيق مكاسب أحادية؟

¹ - محمد شوقي الزين، الثقافة في الأزمنة العجاف، منشورات: الاختلاف الجزائر، ط 1، 2014، ص 652

² - المرجع نفسه، ص 652

فالإشكال يكمن في التفريق بين " صنائع مدهشة ومستحبة وبربرية صاعدة " ، تهدد وجودنا وطبيعتنا البشرية في صورتها الطبيعية، و"هابرماس " انتبه لهذا الإشكال، فكان دفاعه عن الحدائثة العقلية، نابع من إيمانه بقدرة العقل البشري على إيجاد صنائع تساهم في الرقي الإنساني، وحتى لا تتحرف الحدائثة العقلية عن المسار يسعى " هابر ماس " لبناء علاقة طردية بين التقدم التقني والتقدم الأخلاقي.

وبالتالي فإن الذي نحتاجه اليوم بالنسبة ل"هابرماس " هو مزيد من الحدائثة، تتعلم من حدودها كيف تصبح أكثر تأملية، فإن كان العقل البشري هو الذي أوصل الإنسان إلى حافة الهاوية، فهو الوحيد القادر على أن يخرج البشرية إلى بر الأمان، شريطة استغلال هذه الملكة المشتركة لدى الإنسان في نمو الحس المشترك والشعور الجمعي.

فإذا كانت الإنسانية هي الشيء المشترك بين سائر الأجناس البشرية، فإن أي تصنيف قائم على " التقسيم الحضاري أو الديني لسكان العالم، يؤدي إلى مقارنة انعزالية للهوية الإنسانية والتي ترى الكائنات البشرية كأعضاء في جماعة واحدة بالضبط"¹، في حين نحتاج اليوم إلى مقارنة انفتاحية تنفتح على الآخر وتتجاوز معه، فالداء إذا حل اليوم بمنطقة جغرافية ما، فإنه لا محالة سينقل لباقي المناطق، ما لم تتضافر الجهود المشتركة قصد احتوائه واجتثاثه.

وبالنسبة ل"هابرماس " فالفرصة مواتية لإظهار تقدم البشرية في الشعور الجمعي، من خلال التركيز على عقلانية غير العقلانية الأدواتية، هي: **العقلانية التواصلية (Rationalité Communicationnelle)** والتي تكمن أهميتها في ثلاثة محاور أساسية هي:

- أ- التحرر من فلسفة الوعي.
- ب- الفعل يتخذ صورتين (عقلاني غائي و تواصلية يهدف للتفاهم).
- ج- إعطاء فعل التواصل الأولوية مما يترتب عنه ثلاثة أمور هي:

¹ - محمد بهاي، في فلسفة الغير، نصوص فلسفية مختارة ومترجمة، أفريقيا الشرق، ط الثانية، ص 79

-**العقلنة (Rationalité)** تستلزم نسقا اجتماعيا ديمقراطيا يشمل الجميع دون استثناء، ليس هدفه الهيمنة بل الوصول إلى تفاهم.

-**بناء نظام أخلاقي** يعتمد على معايير هي نتاج لنقاش عقلاني حر يقوم على الإقناع العقلي لا الإكراه.

- **وجود مجتمع ديمقراطي** يكون فيه للجميع فرص متكافئة لاستخدام أدوات العقل كالحوار مثلا¹.

وبما أن مواضيع البيواتيقا تشكل نقطة خلاف كبيرة بين ميادين الفكر المتعددة (الدين، الفلسفة، العلم) حتى أنه داخل الميدان الواحد لا نكاد نجد توافق مشترك داخل المشتغلين فيه، فالحل يكمن في فتح نقاش مشترك قصد الوصول إلى قيم مشتركة تجد تبريراتها لدى الجميع، فما أحوجنا اليوم _ يقول هابرماس: _ إلى قيم كونية نكون فيها " جماعة تذاوت غير مكروهة ولا تبحث عن التمثل، جماعة تأخذ بعين الاعتبار تنوع المصالح المبررة ومنظورات التأويل، جماعة يكون فيها أصوات الغيرية- غرباء - منشقون - ودون سلطة - لا أصوات مخفوضة ولا منقوصة ولا مهمشة ولا مستبعدة أيضا." ²

وفعل التواصل يتيح إمكانية وجود جماعة تذاوت غير مُكروهة تبحث عن أرضية مشتركة تتفق عليها؛ لأن مجرد التواصل مع الآخر يعني مباشرة أن لا ننظر إليه على أنه شيء، وإنما باعتباره شخص مثلنا، فالتواصل في حد ذاته وبغض النظر عن النتائج المترتبة عنه، يعبر عن قيمة أخلاقية، فهو من حيث الدلالة اللفظية يدل على:

الوصل الذي هو الجمع بين طرفين أو أكثر، ويدل أيضا على **الإيصال** أي نقل الخبر، كما أنه يدل على **الاتصال** والتفاعل بين الذات³، و يقوم التواصل على أربعة ركائز أساسية هي:
أ-**المرسل (Emetteur):** وهو الذي يصدر منه فعل الكلام.

¹ - عطيات أبو السعود، الحصاد الفلسفي للقرن 21، منشأة المعارف الإسكندرية، (د ط)، ص ص 105-106

² - يورغن هابرماس، مستقبل الطبيعة الإنسانية، مصدر سابق، ص 71

³ -انظر طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط: الأولى 1998، ص 254

ب -المستقبل (Récepteur): وهو المستمع الذي يتلقى الكلام.

ج -الرسالة (Message): وهي تمثل محتوى الكلام ومضمونه.

د -القناة (Canal): أي الوسيلة التي نقلنا بها الكلام إلى المستقبل وهي اللغة.

ومن بين جميع هذه الركائز نجد أن اللغة حضور جوهري في النشاط التواصلي، فهي تمثل أرقى أنواع التخاطب والتواصل، كما أنه لا يمكن أن نتخيل وجود نشاط تواصلي إذا انعدمت اللغة، فنحن وإذ نتكلم اللغة فإنما نتكلم لإيصال رسالة إلى الآخر الذي يسمعنا، هنا يظهر جوهر وروح اللغة، في هذه العلاقة التي يقيمها الفرد مع فرد آخر؛ أي في هذه الوظيفة الثنائية المتبادلة، ثنائية الإرسال والاستقبال، أو المتكلم والمتلقي.

فحيثما كانت هناك علاقة بالآخر، كانت هناك بالأساس وفي البدء لغة، ساهمت في إيجاد هذه العلاقة، حتى علاقة الإنسان بالعالم هي في الأصل " لغوية بامتياز، لأنه يعبر عن الصور التي يحكيها في الخيال أو يجمعها في العقل بالكلمات والأصوات"¹، وهذا ليس معناه حصر وظيفة اللغة في الوظيفة التعبيرية بل هي أكبر من ذلك بكثير فهي " لا تعلمنا شيء نعرفه بل تفتحنا على الإمكان وتعلمنا شيء نجهله عبر الاكتشاف والاستطلاع"²، فحينما نتكلم فإننا ننجز شيء لم يكن حاصل بعد" فالعبارات الإنشائية لا نقصد بها قول شيء ما بل يقصد بها إنجاز هذا الشيء"³.

فقيمة اللغة تكمن في أنها سلطة غير مطلقة وغير قابلة للفردية، فهي تدور بين الأفراد وهي الشيء المشترك بين الذوات؛ إنها الوسيط الذي من خلاله تتجسد سلطة الما بين ذاتية، ولذلك يقول " هابرماس": "فنحن وعبر أشكال التواصل التي نتفاهم بها بعضنا مع بعض وعلى الأشياء الموجودة في العالم والتي من خلالها نتفاهم مع أنفسنا فإننا نصادف سلطة متعالية، فاللغة ليست ملكية خاصة فلا أحد يملك منفذا حصريا مع وسيلة التفاهم

¹ - محمد شوقي الزين، الثقافة في الأزمنة العجاف، مرجع سابق، ص438

² - المرجع السابق، ص 442

³ - جون اوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلمات، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، ص40

المشتركة التي علينا تقاسمها بطريقة بينذاتية¹ -فلولاها ما امتلكت الذات القدرة على الكلام والفعل -فهي الوسيط الذي من خلاله يستطيع الواحد منا أن يتواصل ويتفاعل ويتفاهم مع الآخر.

وبما أننا أثناء عملية التواصل نقوم بإرسال رسائل إلى الطرف الآخر، وهذه الرسائل ليست بالضرورة بريئة غايتها التفاهم والتحاور، فإن هذه العملية واجتتابا للصراع بحاجة إلى ضوابط، فإذا كان الفعل التواصلية يعمل على الربط بين مختلف الفاعلين باستعمال القوة المحفزة عقليا التي تستلزمها أفعال اللغة الإنجازية ، زد على ذلك أن الفعل التواصلية لا يقبل أن يعوض بممارسات من جنس آخر مهما يكن السياق²

هو التخلص من الفعل التواصلية للحوار الذي همه السيطرة والدحض حوار قائم على منطق الوعي والإقصاء، بغية التأسيس لتواصل وحوار إيتيقي قائم على الفهم والتفاهم.

ولكي تتحقق الحالة المثالية للتواصل فإنه وبمجرد ما "تقبل الانخراط في الكلام وقبل الدخول في أي صورة من صور الحجاج، يتعين علينا أن نفترض بصورة متبادلة أننا مسئولون"³، وتتجلى هذه المسؤولية (Responsabilité) بالأساس في القواعد التي ينبغي الالتزام بها أثناء عملية التواصل (Communication) فصحة المبدأ المقدم كحجة ، والتي يحددها " هابرماس " في :

الصدق، والمصادقية، والصراحة، والأحقية ، "فصحة المبدأ المقدم كحجة ومناسبته للطرف الإشكالي وصلاحيته الأخلاقية وصدق المتدخل وبحثه الجدي عن الحقيقة"⁴ هي الشروط الضرورية لوجود تواصل هادف، غرضه البحث عن أرضية مشتركة نتفق عليها.

وبما أن كل شيء أثناء عملية التواصل مُعرض للتساؤل، يؤكد " هابرماس " " على أنه ومن خلال اللغة فقط وبشرط الجدل الحجاج العقلاية يمكن للفاعلين الاجتماعيين أن يربطوا

¹ - هابرماس، مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية، مصدر سابق، ص18

² - الحداثة والتواصل والديمقراطية، حوار مع المفكر " هابرماس"، تر: مصطفى الحداد، أوراق فلسفية، العدد 26 ،ص313

³ - المجلة نفسها، العدد26 ، ص 312

⁴ - رجاء العبيري،(من كانط إلى كارل أتو آبل)، أوراق فلسفية، العدد 23 ، ص 114

أفعالهم ويسيروها باتجاه الفهم المتبادل"¹ ، فمع " هابرماس " نكتشف أن الحقيقة ليست شيئاً ثابتاً وإنما هي شيء نحاج عليه ، " فالمناقشة الصحيحة تراض وهي لا تتعلق إلا بأسباب وليس بالتهديد إنها تستند إلى القوة الخالية من عنف الخطاب البر هاني"²، لذلك فالموقف الذي يستند إلى حجة (Argument) أقوى ويصمد أمام الحجج الأخرى هو الحقيقة ريثما يأتي موقف آخر يدحضه.

فإذا ما اعتبرنا المجتمع " وأخذ بمعنى واسع أو شامل مثل عالم معاش مركب رمزياً، ذلك هو بالتأكيد يتكون ويعيد الإنتاج ثانياً من خلال التعامل الاتصالي"³، فالتواصل هو مخرج ومنقذ الإنسانية وما على المجتمعات الحديثة سوى إعادة هيكلة نفسها من جديد" بما في ذلك القوى الأخلاقية التي تشكل لحمتها ... انطلاقاً من المصادر التواصلية الموجودة في العوالم المعيشة التي صارت تعي ذاتية بناءها الخاص"⁴ فالحل لا يكمن في مزيد من العلمنة أو عن طريق العودة إلى الإرث الديني، وإنما عن طريق التواصل الهادف الخالي من أي وسيلة من وسائل الإكراه، فالأخلاق مع " هابرماس" لن يكون مصدرها الدين أو الميتافيزيقا، بل هي نتاج لحوار مؤسس على افتراضات تواصلية مسبقة تضي عليها صفة الشرعية"⁵ ففي عالم التفاعلات الاجتماعية تمنح لنا إمكانية تطوير هويتنا الثقافية والحفاظ عليها، هذه الثقافة (Culture) التي يصفها هابرماس "بمال أو رأسمال المعرفة"، أين يستخرج مشاركي الاتصالات تفسيراتهم عندما يجتهدون في التبليغ أو التسميع على شيء ما"⁶ فهو إذاً (التواصل) نشاط يساهم في تفاعل الذات مع بعضها، تفاعل الذات فيما بينها،

¹ - علي عيود المحمداوي، التفكير مع غادمير وهابر ماس وضدهما، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 158-159، مركز الإنماء القومي بيروت/باريس، ص40

² - جاكلين روس، تطور الفكر الأخلاقي المعاصر، مرجع سابق، ص 76

³ - Jürgen Habermas, La Pensée Post métaphysique .Pag 97.

⁴ - هابرماس، مستقبل الطبيعة الإنسانية، مصدر سابق، ص36

⁵ - محمد عبد السلام الأشهب، فلسفة الحق في نظرية الفعل التواصلية، ضمن كتاب، "الفلسفة السياسية المعاصرة، من الشموليات إلى السرديات الصغرى"، كتاب جماعي، تحرير: علي عيود المحمداوي، مراجعة: إسماعيل مهنا، محمد شوقي الزين، دار ابن النديم،

دار الروافد الثقافية، ط: الأولى 2012، ص39

⁶ - Jürgen Habermas, La Pensée Post métaphysique .Pag 97.

تفاعل العقل مع الواقع، فالذي يصبوا إليه "هابرماس" ليس عقلا ترنسندتاليا يعيش خارج التاريخ، وإنما عقل اجتماعي يساهم في تقريب وجهات النظر عبر الإقناع والإجماع (Consensus) والتواصل؛ لأنه وأثناء الفعل التواصلية تغيب الذاتية الترندتالية البحث عن أرضية مشتركة نتفق عليها.

المطلب الثاني: أخلاق القانون

إذا كانت الأخلاق (Morale) مع "هابرماس" تتأس على أرضية تواصلية، فإن أي موقف أخلاقي يتعلق بأي قضية من القضايا لن يكون له مفعول إلا إذا ترجم إلى مدونة قانونية، هذا هو المفهوم الجديد للتواصل عند "هابرماس" مفهوم "يتولد عبر ثنائية متجادلة، الأنا الفردي والجماعي السياسي"¹ وهذا من خلال فتح نقاش جماعي بغية الوصول إلى فهم أعمق لقضايا المجتمع، فالقضايا المتعلقة بالنسالة تستدعي منا- وحتى لا تتحرف-تشرية قوانين تمنع على سبيل المثال التلاعب بالإرث الجيني للأفراد، وتحمي في الوقت نفسه أولئك الذين ليست لهم القدرة على الدفاع عن أنفسهم على شاكلة الأولاد حديثي الولادة.

لكن السؤال الذي يبادر إلى الذهن يتمثل في طبيعة هذه التشريعات، ومن هي السلطة المخولة لها بالتشريع أو من أين تستمد هذه التشريعات صلاحيتها؟

يذهب "هابرماس" إلى أن هذه التشريعات القانونية، تُستمد من وجود نظام دستوري ديمقراطي، يفتح المجال للحريات والنضال لحقوق متساوية، ففي الدولة الدستورية (Etat Constitutionnel) أي سلطة على الرعايا تتغذى من مادة قانونية، والقانون الذي يتحدث عنه "هابرماس" هو قانون وضعي، مؤسس على قاعدة تتمثل في قناعات أخلاقية، تجسد "فكرة الاعتراف المتبادل بين أشخاص أحرار متساوين يتحدثون بملء إرادتهم وينظمون شرعياً و معاً حياتهم المشتركة بواسطة القانون الوضعي".²

¹ -مونييس بخضرة، تاريخ الوعي، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، ط: الأولى

2111، ص106

² -هابرماس، مستقبل الطبيعة الإنسانية، مصدر سابق، ص 95

فالدولة الدستورية الديمقراطية لا توفر " الحرية السلبية فقط من أجل رفاهية مواطنيها بل تجندهم عن طريق حرية التواصل للمشاركة في المناقشات العامة حول المواضيع التي تهم الكل"¹، فمصلحة الدولة الدستورية (Etat Constitutionnel)، تكمن في مراعاة كل المصادر والينابيع الثقافية التي يتغذى منها " التضامن" (Solidarité)، بين الناس وينمي وعيهم بالقيم.

فوظيفتها(الدولة الدستورية) لا تكمن في الانحياز إلى طرف ما، أو تبني موقف على حساب آخر، وإنما أن تقف موقف الحياد، الذي يستدعي الوقوف على مسافة واحدة بين جميع الأطياف المكونة لها، وهذا من خلال بناء دستور ديمقراطي، يؤطر يؤسس وضعية قانونية، تجسد " لفكرة الاعتراف المتبادل بين أشخاص أحرار متساوين يتحدثون بملء إرادتهم وينظمون شرعياً و معاً حياتهم المشتركة بواسطة القانون الوضعي"² الذي يسهر على حماية الحريات الفردية والجماعية، وعلى توفير حق الحماية القانونية للفرد كيفما كان.

فبالنسبة " لهابر ماس" يعد المواطن الحر والمشارك ... الرقم الصعب في المعادلة الديمقراطية، حيث لا يمكن تصور ديمقراطية في غيابه، فالديمقراطية عنده مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالتنظيم الذاتي القانوني للمواطنين أنفسهم بأنفسهم"³، فأى سلطة على الرعايا هي سلطة تتغذى من مادة قانونية، وهذا القانون يكون مؤسس على قاعدة تتمثل في قناعات أخلاقية، تحمي الإنسان وتحافظ على وجوده الطبيعي.

فغاية التواصل تكمن في فهم أفضل للعلاقات الاجتماعية داخل المجتمع، فهو يتميز عن غيره من الأفعال الأخرى بأنه لا يسعى للبحث عن الوسائل التي تُمكنه من التأثير في الغير، بل يبحث عن كيفية التوصل إلى تفاهم وتوافق معه، دونما إكراه أو قسر.

¹ - يورغن هابرماس، جوزيف راستينغر، جدلية العلمنة، العقل والدين، تعريب وتقديم، حميد لشهو، جداول للنشر والترجمة والتوزيع،

الكويت، ط: الأولى يناير، 2003 ص 51

² - هابرماس، مستقبل الطبيعة الإنسانية، مصدر سابق، ص 95

³ - محمد عبد السلام الأشهب، فلسفة الحق في نظرية الفعل التواصل ل هابرماس، ضمن كتاب: الفلسفة السياسية المعاصرة من

الشموليات إلى السرديات الصغرى، كتاب جماعي، مرجع سابق، ص 238

وبما أن التقنية الحيوية قد جعلت الإنسان يعيش حالة من الشك والفرع والقلق مما هو آت، فإنه ولكي نتجنب الوقوع في المحذور ينبغي- في نظر هابرماس -أن نؤسس لنظام دستوري أخلاقي، يوفر ديمقراطية أخلاقية وحرية أخلاقية، وعدالة أخلاقية، ومساواة أخلاقية، وحماية أخلاقية، تحمي الإنسان كيفما كان شكله، من أن يتاجر بجسده، وتحافظ على وجوده في صورته الطبيعية.

فإذا كانت البشرية مُقبلة على فتوحات في مجال الهندسة الوراثية، فليس لنا من مخرج سوى أن نستوعب هذه الفتوحات داخل دساتيرنا بغية تنظيمها ومراقبتها، وهذا بواسطة تشريع قوانين جينية تمنع التلاعب بالطبع الجيني للأفراد، وتحمي في الآن ذاته النوع البشري من أي ممارسات تفقده كهذه.

الفصل الثالث

من الأخلاق إلى البيوتيقا عند هابرماس

المبحث الأول : هابرماس و سؤال التقنية

المطلب الأول : المعرفة والمصلحة

المطلب الثاني: من العقلانية الأداة إلى التواصلية

المطلب الثالث : نقد العقلانية الأداة

المبحث الثاني : علاقة التقنية بالبيوتيقا

المطلب الأول: الإنجاب

المطلب الثاني: الإجهاد

المبحث الثالث: مستقبل الطبيعة البشرية

المبحث الرابع: التفكير ضد هابرماس

المبحث الأول: هابرماس و سؤال التقنية

المطلب الأول: المعرفة والمصلحة

المطلب الثاني: من العقلانية الأداة إلى التواصلية

المطلب الثالث: نقد العقلانية الأداة

تمهيد:

يعد مصطلح العقل الأداة أو العقلانية التقنية من أبرز المصطلحات الأساسية و الجوهرية في قضايا النظرية النقدية ، فقد ظهر هذا المصطلح من خلال كتاب " dailetic of Enlightenment " ، "جدل التنوير" عند " هوركهايمر "بالاشتراك مع " أدورنو " ، كما ظهر أيضا مع " هربرت ماركيز " من خلال مؤلفه الموسوم بـ " الإنسان ذو البعد الواحد " إن هذا العقل. العقل الأداة هو نوع من التفكير في المجتمع الحديث أو التفكير ذي البعد الواحد ، على حد وصف " ماركيز " ، و يتضح من خلال التفكير العلمي و التقني المعبر عنه في كل من الفلسفة البراغماتية أو الوضعية.¹

فبعد سعي الإنسان المستمر للسيطرة على الطبيعة ظهرت فكرة سيطرت العقلانية التقنية، فالإنسان الذي تحكمت فيه هذه العقلانية لا ينفك يعرض تقنياته المتجددة على الطبيعة و المجتمع.

ولهذا ينكر " هيدغر " و بشدة في حوار له مع صحفيين من جريدة « Spiegel » الإيديولوجيات المهيمنة في الديمقراطيات الغربية التي تعتقد بقدرة الإنسان و تحكمه في الممارسات التقنية قائلا " : التقنية في كينونتها شيء لا يستطيع الإنسان التحكم فيه ² ". كما أن " يورغن هابرماس " يقر بأننا نعيش عصر الرأسمالية المتقدمة القائمة على التقنية، و ما يميز التقنية عن الإيديولوجيات القديمة من منظوره، هو تمكنها من خلق مصالح مرتبطة بوجودها بين الطبقات و الشرائح المختلفة، بالإضافة الى اختراقها الحدود الجغرافية متجاوزة بذلك حدود الدول و الأديان و المعتقدات و الإيديولوجيات.³

¹ - أبو النور حمدي أبو النور حسن: يورغن هابرماس الأخلاق و التواصل ،التنوير للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت لبنان ، ط 2012 ، ص 46

² - مرجع نفسه ، ص 47

³ - حسن مصدق: يورغن هابرماس و مدرسة فرانكفورت النظرية النقدية التواصلية ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ، ط 1 ، 2005 ، ص 107

و تجدر الإشارة إلى أن الدراسة التي قدمها " هابرماس " حول التقنية و العلم تشتمل على جدل مع الأطروحة التي طورها " هيربرت ماركيز " ، و مؤداها أن " القوة المحررة للتكنولوجيا ، تحول الأشياء إلى أدوات ، تتقلب إلى قيد على التحرير ، وتحويل الإنسان إلى أداة. ¹ " و لهذا نتساءل: ما موقف هابرماس من التقنية؟

المبحث الأول: هابرماس وسؤال التقنية

إن مصطلح الأدوات عند " هابرماس " يحمل مضمونين اثنتان ، حيث يمدثل أحدهما أسلوب رؤية العالم ، أما الآخر فيمثل أسلوب المعرفة النظرية ، حيث يحاول الكشف عن الوهم التقني و مضمونه ².

تنزاح التقنية في المجتمعات الغربية ممتداً مداها على كافة مؤسسات المجتمع وأبنيته أين تفقد هذه المؤسسات فيغدو بذلك منطقتها الوحيد تكريس الإنتاجية التي تتموضع فوق كل مصلحة، وكل عقلانية تكنولوجية تتضمن قوة سيطرة داخلها تخضع كافة الأبعاد إلى أبعادٍ شئنية، وتغيب أبعاد الإنسان وقيمه الوجودية و التحررية " ففي المجتمعات الرأسمالية المتقدمة صناعياً تتجه السيطرة إلى أن تفقد طابعها القمعي الهيمني لتتحول إلى نوعٍ من السيطرة المعقلنة من دون أن تتخلى مع ذلك عن طابعها السياسي أو تفقده ³، تتحول آليات القمع

¹ - يورغن هابرماس: العلم و التقنية ، كابدولوجيا، ترجمة حسن صقر، منشورات الجمل، مكتبة الإسكندرية- القاهرة ، ط 1 ،

2003، ص5

² - الشيخ إبراهيم مصطفى: النقد السياسي لجذلية التقنية لدى فلاسفة فرانكفورت :ماركيوز، هابرماس ، نموذجين، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة، جامعة وهران 2، الجزائر، السنة الدراسية 2015.2016، ص125

³ - سالم يفوت، المناحي الجديدة للفكر الفلسفي المعاصر، دار الطليعة بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1999. ص 94.

المعاصرة إلى نوعٍ مغاير من تجلياتها أين يخضع الأفراد من خلالها إلى انزياحاتها عبر الاندماج في سلطة الإنتاج والتوزيع، ومنه فإنه يتولد شكل من السيطرة يتخذ صفة الشمولية التي تضي من خلالها التكنولوجيات المعاصرة صيغة عقلانية على ما يعانيه الإنسان وعلى ما يتلقاه من ضغوط و إكراهات التقنية التي توهم الإنسان باكتساب حريات أوسع "فإن العقلانية التكنولوجية لا تضع شرعية السيطرة موضع اتهام وإنما هي تحميها بالأفق الأداتي الوسيلائي لنزعة العقل الذي يقود إلى مجتمع كلياني مستبد وقد أضيفت عليه الصفة العقلانية"¹، إن أشكال الهيمنة الجديدة تتوالد بفعل الدور والمكانة التي ينالها العلم بوصفه قوة إنتاجية، وبالتالي فإن إعادة استنطاق مدلولات الهيمنة داخل التقنية أمر مطلوب من أجل كشف اللامنطوق فيها وتميز الأبعاد العقلية من اللاعقلانية فيها.

المطلب الأول: المعرفة والمصلحة:

يتحرر الخطاب النقدي عند هابرماس من النزعة الوضعية مبدئياً عداءه الشديد لنزعتها المحافظة والمتصالحة مع الإطار اللاعقلاني للسيطرة التقنية ضمن إتخاذها مع العلم، وفي إقصائها اللاواعي لحدود التأمل الفلسفي والتفاتها المبالغ نحو الواقع وحدود المعرفة العلمية، إن التقنية لا تؤسس استقلاليتها خارج الحسابات السياسية ومنه فإن الوضعية تقيم دعماً إيديولوجياً لاستمرارية الحداثة التقنية، فقد وجب الالتفات إلى الوضعية وإثبات تهافتها كسبيل نحو إلغاء النزعة التقنية التي تحيل كل من المعرفة العلمية والتقنية إيديولوجية" يذهب

¹ - المرجع نفسه، سالم يفوت، المناحي الجديدة للفكر الفلسفي المعاصر، ص95.

هابرماس إلى أن ما جعل من العلم قوة إنتاج ذات شأن في المجتمع المعاصر المتقدم، ارتباطه بالتقنية والصناعة الحربية والتصنيع المدني والتسيير الإداري وعملية صنع القرار واتخاذها وهذا ما جعل العلم يتعرض لعملية تسييس هو والتقنية، مثلما جعل السياسة تتعرض لعملية علمنة، فلقد أصبح التقدم العلمي والتقني المحرك الحقيقي لتوسع قوى الإنتاج، مما كرس الأطروحات الوضعانية التي تصب جميعاً في مماثلة المعرفة بالعلم ومماهاتها به¹ ، تُلبس الوضعية لباس الشرعية على تلك الممارسات اللاعقلانية للنظام السياسي والاجتماعي القائم على العقلانية التقنية تحت ذريعة النجاعة ، ولهذا الأساس دعي هابرماس إلى إعادة إحياء للنظر الفلسفي المناهض للوضعية والتأسيس لسؤالٍ إبستمولوجي يُثبت القيمة المعرفية للعلم خالٍ من الإيديولوجية.

يعترف هابرماس ضمناً بقيام علاقة مؤسسة تجمع المعرفة والمصلحة متجلياً ذلك ضمن تلك الدوافع والغايات المتوخاة من المعرفة وانطلاقاً من هذا التحديد، يصف هابرماس ثلاث مصالح ترتبط بثلاث أصناف من العلوم وهي:

1- علوم تجريبية تحليلية: وتتضمن مصلحة معرفية تقنية – Sciences empirico analytiques

2- علوم تاريخية هيرمينوطيقية: وهي التي تتضمن مصلحة علمية – historico herméneutiques. Sciences

¹المرجع نفسه، سالم يفوت، المناحي الجديدة للفكر الفلسفي المعاصر، ص 101.

3- علوم نقدية: **Sciences critiques**. الأولى أداتية وهي التي تنظم العلوم التجريبية

وتحدد هذه العلوم انطلاقاً من كونها قابلة للاستغلال التقني، أما الثانية فمجالاتها يتضمن التواصل بين البشر وحقلها العلوم التاريخية والتأويلية التي تنطلق من فهم المعنى وتأويل النصوص والخطابات، أما الثالثة فإنها تتضمن مصالح من أجل التحرر ومجالاتها العلوم الاجتماعية النقدية، "فالمصلحة من أجل الإعتاق توفر الإطار والمرجعيات للفرضيات النقدية باعتبار أن التأمل النقدي يحرر الذات من سلطة الأصنام والأوهام وقوى الجمود"¹ ففي المصلحة التحررية تجد الفلسفة مكانتها والتي يدعوها هابرماس إلى ضرورة التصدي لكافة أشكال الهيمنة التقنية التي تشيئ البعد الإنساني وتعمل على تحويله إلى سلعة، فعلا الفلسفة أيضاً أن تنشئ حوار مع أبنية المجتمع وأطرفه المؤسسة له والرقي بالواقع الاجتماعي، كما أن الفلسفة مدعوة لدى هابرماس إلى إعمال نقدٍ يوجه النشاط العلمي والتقني وتنظيمهما، " فإن مجمل المسائل الحاسمة المتعلقة بتطور المجتمع الصناعي المتقدم لم تعد إلا شأناً من شؤون التحليل التجريبي والتحكم التقني، و أنها تخرج عن نطاق أي جهدٍ لعقلنتها وذلك بسبب خضوعها لقرارات اعتبارية أو لاكتفائها بضبط ذاتي تلقائي"²، ويعمل النقد الفلسفي على إزالة الغطاء المؤدلج للممارسات التكنوقراطية التي تتكئ على قاعدة تحركها النزعة العلمية وتدعمها، ثم إن النقد الفلسفي مدعو نحو توسعة نشاطه بإجراء حواريات مع مختلف العلوم العملية والاجتماعية متجاوزاً بذلك النظرة الشمولية و الإقصائية للوضعانية

¹ -سالم يفوت، المناحي الجديدة للفكر الفلسفي المعاصر ، مرجع سابق، ص 104.

² - هابرماس يورغن، الفلسفة الألمانية والتصوف اليهودي، ترجمة نظير جاهل، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، بيروت

فإذا قدر لفلسفةٍ لا يطرح بشأنها السؤال: ما الفائدة من الفلسفة أن توجد فلن تكون إلا فلسفة غير علموية حول العلم؟¹، لا تنتمي القيمة الفلسفية إلا من خلال الممارسة السياسية، ذلك أن مستقبلها مرهون بالممارسة السياسية وما دامت الفلسفة شكلاً من أشكال التفكير النقدي فالمهمة الأكثر نبلاً التي تسند لها تتمثل في إعمال نقدٍ جذري للنزعة الموضوعاتية بكافة أشكالها ومحاربة ما تكتنفه من استقلالية إيديولوجية، إن مراهنه هابرماس على الفعل النقدي جعلته يقوم بإقصاء كافة النزاعات التي تكبت السؤال النقدي وفي مقدمتها النزعة الوضعية التي تطرح العلم بوصفه النشاط الوحيد القادر على إضفاء المعاني، ومنه فإن الفعل النقدي يكون على رأس أولويات البحث الفلسفي.

المطلب الثاني: من العقلانية الأداتية إلى التواصلية

يستشف مشروع هابرماس النقدي تأسيس فعلٍ نقدي تجاوزي يقصي مظاهر الأزمة نقد تصالحي لا يرفض المكتسبات الحداثية بقدر ما يعمد إلى استكمال مسار الحداثة عبر إصلاح تصدعاتها وتقويتها، ومنه كان السبيل للانفلات من هيمنة الأدوات مرتبطة بتأسيس فعل بديل عنها وهو ما يحدده هابرماس في المشروع التواصلية، ويعتبر مفهوم العقل الأداتي أبرز المفاهيم التي هاجمها هابرماس بفعل المكانة المركزية التي تتبناها في الفكر الغربي أين يقيم هابرماس تميزاً بين العقل العقليين مبرزاً اختلافهما، بانياً أولويته النقدية على العقل التواصلية الذي يتأسس كاجتيازٍ لحدود العقل الأداتي **Instrumental raison** ومتحرراً

¹ - هابرماس يورغن، الفلسفة الألمانية والتصوف اليهودي، مصدر سابق، ص 45.

من سلطته فالعقل الأداة كما يشير هابرماس يتضمن أسلوباً اختزالياً وهو مفهوم تناولته العديد من الفلاسفة ومارس الحضور ضمن مشاريعهم النقدية (هوركهايمر، أدورنو ، ماركيز)، إن العقل الأداة عقل يستمد ماهيته وأساسه من القواعد التقنية القائمة على معرفة تجريبية، وهو يبرز ظاهرة التمرکز والانشغال بالميادين العلمية " ويبين هابرماس أن حركة التطور العلمي في عصر الأنوار قد أدت إلى ظهور هذا العقل ويوضح الأسس التي أدت لظهور العقل الأداة، ومنها الآليات التي وضعها وأرسلها النظام الحديث أو بالأحرى المجتمع الحديث " ¹ .

المطلب الثالث: نقد العقلانية الأداة:

يؤسس هابرماس خطابه النقدي قارئاً للحدث عبر وقوفه على المضامين السلبية التي أفرزها المشروع الحدائ الغربي، غير أن هابرماس في نقده للحدث ينحرف عن المسار النقدي الذي رسمه فلاسفة فرانكفورت الأوائل رافضاً نزعتهم النقدية المتشائمة والعدمية كما يرفض جملةً وفي ذات السياق خطاب ما بعد الحدث، ينطلق هابرماس من موقف المحافظ والمؤيد تجاه الحدث فهابر ماس لا يرفض مكسب الحدث الأول بقدر ما ينقلب على مفرزاته السلبية والمتمثلة في الأداة، أو تلك النزعة العقلانية الناتجة عن إحرفات الاستخدام الخاطيء والواعي للعقل فبالرغم من عدم تنكره لصورة العقل الأداة والنفعية التي أضفت مكاسب للإنسانية ليس بالإمكان التخلي عنها، وهي تقود مسار الإنسانية نحو التطور والنماء

¹ -سالم يفوت، المناحي الجديدة للفكر الفلسفي المعاصر، مرجع سابق، ص 133.

في كافة أصعدته الحضارية، فالعقلنة لدى هابرماس تشير إلى ذلك الاستعداد الذي تبرهن عليه ذوات تكون قادرة على الكلام والعمل واكتساب وتطبيق معرفة قابلة للخطأ، إن انقلاب هابرماس يمس بالأساس مظاهر التقنية و اللاوعي الناتج عن العقل الأنواري والقائمة على قواعد الحساب والتكميم كما يعتبرها هابرماس الفعل الغائي يجعل الإنسان يختار مجموعة من الوسائل والأدوات التي تحقق النجاح قصد تحقيق غاية معينة فالمركزية الغربية تركز على العقلانية الأدوات المتشعبة بالبعد الغائي، تقصي الأبعاد الأخلاقية والقيمة والتي تشكل معاني التواصل بين ذوات المجتمع، ومن هنا فإن مشكلة الحداثة بمنظور هابرماس عقلانية أدواتية تجاوزت كافة الحدود " إن ما هو نموذج بالنسبة لهذه العقلانية لا تكمن في علاقة الذات المنفردة مع العالم الموضوعي القابل للتجسيد والاستعمال، بل ما هو نموذج هو العلاقة التداولية التي يقيمها الناس القادرين على الكلام، وعلى الفاعلية حينما يتفاهمون بينهم حول شيء معين"¹.

يؤسس هابرماس محاولته نحو إعادة بناء العقلانية الغربية، ذلك أن الحداثة الغربية قد ارتبطت بمبدأ الذاتية و العقلنة التي تعد السمة الملازمة لها، أي بمعنى إخضاع كل شيء لقدرة العقل ومحكه، والتي هي بحث مستمر عن الأسباب والعلل، " ومن ثمة ارتباط مبدأ العلة أو السببية بمبدأ العقل وهنا يصبح كل من الواقع الطبيعي والواقع التاريخي معقولاً وعقلانياً بالنسبة للذات وهكذا يصبح كل شيء محكوماً من طرف العقل"² فالأدواتية

¹-Habermas.:opcit p395. théorie de l'agir communicationnel,

².-IP id , p22.

بسيادتها للأنظمة والتسيير المؤسساتي، إنما تشكل شكلاً من أنظمة السيطرة، فالحادثة بإرسائها للعقلانية الأداةية تؤسس نزوعاً نحو السيطرة على الطبيعة عبر استعانة مفرطة ولا واعية بالتقنية، فهي تمتلك بذاك إرادة للسيطرة والهيمنة، وقد جسد ذلك وخلق دوافع لدى مجتمع ما بعد الحداثة، تضع المشروع الحداثي موضع تساؤل نقدي يحمل عدائية ورفض مطلقاً للنوازع اللاعقلانية .

إن سلبية العقل الأداةي تستساغ من خلال الوظيفة الاختزالية التي يعملها في حق كل من الإنسان والطبيعة، فهو ينظر إلى الواقع والإنسان بوصفهما أشياء محددة تقاس بالمعايير الحسابية والكمية، ولا بد من نقد هذا العقل عبر تغيير معطياته التجريدية للأشياء، كما أن العقل الأداةي يحكمه مبدأ الشمولية، حيث يخضع أبعاداً متعددة لسلطته، فهو يدمج إلى جانب البعد العلمي الأبعاد الأخلاقية والجمالية، فالبعد الأداةي مقدم على الأبعاد الأخرى، ذلك أن العقل الأداةي " هو نتاج انشطار واغتصاب، أي نتاج صيرورة اجتماعية فقد وصفها أدورنو وهوركهايمر وفوكو بأنها صيرورة الذاتية بوصفها تتجاوز قواها وتنشياً¹، وبناءً على هذه الاعتبارات كان العقل الأداةي تعبير واضح عن الدور المركزي والمحوري الذي جسده تأثير هذا العقل في المجتمعات الغربية المعاصرة (الرأسمالية) .

¹ هابرماس يورعن ، القول الفلسفي للحداثة، مصدر سابق، ص482.

المبحث الثاني: علاقة التقنية بالبيوتيقا

المطلب الأول: الإنجاب

المطلب الثاني: الإجهاض

تمهيد:

الملاحظ أن العلم لم يصل لحد الساعة إلى نهايته ، فالنمو المتسارع للتقنية فاق كل الاعتبارات ، حتى أصبح من الصعب، بل من غير الممكن التحكم فيها أو في قوانينها ، وعلى الرغم من كون التقنية قد اجتاحت جميع الميادين إلا أننا سنخص بالاهتمام والبحث ميدان البيولوجيا و الطب ، أو ما يصطلح عليه ب"البيوتيقا"، وذلك بسبب الأخطار التي تحق بنا جراء طموحات العلماء من أجل الارتقاء بالبشرية نحو الأفضل ، ولهذا فإنه "حينما تصبح التقنيات قادرة على اختراق حتى التَّركيبة البيولوجية للإنسان ، وإمكانية التحكم ببنيته الجسدية ، و تكوينه لقيمي ، فإن هذه المرحلة تعد اعتي مراحل الهيمنة و السيطرة على الإنسان بواسطة الخبراء من جهة ، والسياسيين من جهة أخرى ، حد إلغاء حرّيته، وقتل كل اختياراته، ومن منطلق التحسين و العقلنة التي يهدفها السياسيون بمعية العلم أو العلماء بمعية الانتماء الفكري السياسي . ويبقى السؤال من الذي يقرر شرعية هذا العمل؟ يثير الشكوك و التخوفات ، تجاه أن يكون إنسان المستقبل قد حددت معالمه بقرار خارجي تقني مشفوع بإرادة إنسانية لا تتعلق بالمنفعل ذاته.¹

إن هذه المناقشات، و التساؤلات تشكل جوهر كتاب "هابرماس" "مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية " ، فهنا تتداخل التقنية مع البيولوجيا ، لتنتج البيوتيقية والتي بدورها تنتج إشكالية الأخلاق المصنعة (البيوتيقا)، و في هذا الصدد يقول "هابرماس" "فإن العلم و التقنية قد تحالفا طبيعيا ، حتى الآن مع فكرة . الليبرالية، التي تعتبر أن لجميع المواطنين الحق بالفرص نفسها ، من أجل تكييف حياتهم بشكل مستقل"²

ولهذا نطرح التساؤل التالي : فيما تتجلى انعكاسات التقنية على البيوتيقا ؟

¹ - علي عبود المحمداوي ، الإشكالية السياسية للحدث، منشورات الضفاف مرجع سابق ، ص17

² - يورغن هابرماس : مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية ، ترجمة جورج كتوره ، المكتبة الشرقية ، بيروت ، لبنان ، ط .

المطلب الأول: الإنجاب

إننا في عصر كل شيء يحتاج فيه إلى إعادة النظر حتى المواضيع التي تبدو من الوهلة الأولى بديهية، مثال ذلك الأمومة، البنوة، والهوية البيولوجية، فهذه المفاهيم تحتاج اليوم إلى أن نفكر فيها من جديد خصوصا في ظل وجود مواضيع لها ارتباط مباشر بها كأن تكون هناك والدتان بيولوجيتان واحدة بالمبيض، و الأخرى بالرحم ، وتوجد هذه الظاهرة خصوصا عندما يكون هناك زوجان يعانيان من مشاكل صحية في الإنجاب ، أو بسبب العقم، و لتحقيق رغبتهما في الإنجاب لابد من وجود أم بديلة *Mère porteuse* توافق على زرع البويضة في رحمها .و كمثال على ذلك ما حدث في " جوهانزبرغ " عندما علم أن امرأة من جنوب إفريقيا بيضاء كانت أول من حملت أطفال ابنتها " أو بمعنى آخر أول جدة أم في العالم وضعت ثلاث توائم ، وعلم في المستشفى أن المواليد ثلاث صبيان وفتاة خرجوا إلى الحياة بعد عملية قيصرية ، وكانت السيدة " أنتوني " قد عرضت على ابنتها .أن تحمل عنها أطفالها بما أن الابنة " كارين 25 " عاما عاجزة عن ذلك ¹ .

هذه هي التقنية الحيوية تعمل على زعزعة العلاقات الأسرية والاجتماعية ، وعلى الرغم من أن الهدف في هذه القضية كان إنسانيا محضا (عاطفة الأم اتجاه ابنتها)، إلا أن هدف مثل هذه العمليات في اغلب الأحيان يكون بغية تحقيق أرباح ، أي في شكل صفقة بين الزوجين و المتطوعة ، فمقابل اخذ الزوجين للطفل تأخذ المتطوعة أموالا نظير الحمل.

ومن بين المواضيع التي تعتبر وثيقة الصلة بالإنجاب نذكر (وهب البويضات، والسائل المنوي وحفظها في بنوك خاصة غالبا ما تحتفظ هذه البنوك بالحيوانات المنوية لمشاهير الفن، وكرة القدم، و النوابع في شتى المجالات): (كالأدب ، الرياضيات.)

¹ - ناهده البقصي : الهندسة الوراثية و الأخلاق ، عالم المعرفة ، الكويت ، ط 1 ، 1993 ، ص 142

كما قد يلجأ لتقنية التلقيح الاصطناعي ، و إمكانية الإنجاب من دون أي ارتباط جسدي ، نتيجة ضعف الجهاز التناسلي في إنتاج الحيوانات المنوية بالنسبة للرجل ، أو انسداد في قناة " فالوب" بالنسبة للمرأة مما يمنع من تخصيب البويضة و وصولها إلى الرحم ، ويطلق على هؤلاء المواليد الذين ولدوا باستعمال هذه التقنية "أطفال الأنابيب" Bébés éprouvette ، حيث تنقل البويضة إلى رحم المرأة بعد تلقيحها في المخبر ، فتقيس البشر لم يعد في الأرحام ولكن خارج الجسم الحي.¹

و المسألة التي أثارت اهتمام هابرماس " معرفة كيفية دخول التطور التبسيطي الذي تمارسه التقنية البيولوجية كتميز بين ما ينمو طبيعيا وما هو مصنع بين الذاتي و الموضوعي، و كيف تطور ذلك معرفتنا لذاتنا حتى الآن من زاوية أخلاقية الجنس البشري و تؤثر في معرفة شخص جرت برمجته جينيا ، ما يطرح حدود على القدرة التي بذل الفرد قادرا على الحياة بشكل مستقل.²

فإذا كان الأفراد الطبيعيين متساوين بالولادة ، مسئولين عن تاريخ حياتهم، ويتمتعون بالاستقلالية الفردية ، فإن الذين تمت برمجتهم وراثيا ليسوا متساوين بالولادة ، ولا هم مسئولون عن تاريخ حياتهم ، وغير قادرين على بناء عالم خاص بهم ، لأن مصيرهم قد حدد من قبل شخص آخر.³

لذلك يعتبر " هابرماس "الفلسفة مؤهلة أكثر من غيرها، لدراسة آثار تلك التدايعيات، وذلك من خلال تقديمها وصفا دقيقا وتحليلا نقديا لهذه الهبات التقنية المتسارعة، فضلا عن فهم عقلاني ومنهجي لها.⁴

¹ - فرنسيس فوكو ياما ، مستقبلنا بعد البشري، عواقب ثورة التقنية الحيوية، مرجع سابق ، ص40

² - يورغن هابرماس : مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية ، مصدر سابق ، ص 32. 33.

³ -مصدر نفسه ،ص33

⁴ - حسن مصدق ، و آخرون ، يورغن هابرماس ورهانات مستقبل الطبيعة الإنسانية، ضمن كتاب : البيوتيقا ومهمة الفلسفة.

وفي خضم التصريح والتصريح المضاد ، و الرد و الرد العنيف أحيانا الذي يطبع الرأي العام في مثل هذه القضايا الحساسة ، بحيث أصبح المشرع ذاته عاجزا عن مسايرة وتيرة الأشياء في مجال لا يعرف سوى تدفق الحركة المنتظمة و تسارعها بشكل هائل ، فهو يحاول إن فعل مسايرة الحاضر فحسب دون أن يتمكن من أن يستشرف أبعاد المستقبل بطريقة آمنة¹. وفي ظل هذه الوتيرة المتسارعة فإن كل ما يحاول رجال السياسة فعلو فتح الأبواب مرغمين لأنهم لا يستطيعون إغلاقها في وجه التقدم العلمي ، خاصة أمام الفتوحات الطبية من جهة ، كما أنهم من جهة أخرى لا يقدرّون فتحها على مصراعيها فليس هناك من شرعية إذا لم يكن هناك توافق عليها وانسجام بين مكونات المجتمع الفاعلة و المؤثرة مع قيمه و معاييرها.

ولقد وقع رجال الدين و السياسة بين المطرقة و السندان بمحاولتهم تقنين هذه الحركة المتسارعة " و لعل محاولة اللجان المختصة و الخبراء مساعدتهم في هذا الباب أطلقت العفاريات من قمقمها والأرواح من أجدائها ليطال التحليل ما كان في عداد التحريم² ". ولعل رئيس جمهورية ألمانيا " جوها نس راو " قد كان في باله " مثل هذا السيناريو إذ أطلق في 18 أيار /مايو 2006 تحذيرا جاء فيهِ :إن من يعمل على تحويل الحياة البشرية إلى أداة، أو من يميز بين حياة تستحق أن تعاش عن حياة لا تستحق ذلك، إن من يقول بذلك يكون قد دخل طريقة لا نقطة نهاية فيها .³ و بهذا يستشهد" هابرماس "بهذا التصريح السياسي على اعتبار أن الرئيس الألماني يستبطن القلق الذي يعصف بأذهان الساسة ، و الصعوبة الكبرى الموجودة في الهندسة الوراثية عندما يسمح بالتدخل في الخلايا الجذعية ولو

¹ - حسن مصدق و آخرون ، يورغن هابرماس ورهانات مستقبل الطبيعة الإنسانية، ضمن كتاب : البيوتيقا ومهمة الفلسفة.

مرجع سابق ، ص 241

² - حسن مصدق و آخرون ، مرجع سابق ، ص 246

³ - يورغن هابرماس : مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية ، مصدر سابق ، ص 28

لغايات وقائية أو علاجية . فهذا سيؤدي إلى الوقوع في المحذور تلقائيا. و تستدعي
الضرورة بنا التمييز بين نوعين من التعديل الأول: ايجابي و الثاني سلبي¹.

أ /النسالة الايجابية:

إن تبني " هابرماس "لفكر الانواري ، و دفاعه عن الحداثة و العلم لا يعني إيمانه
بضرورة تطبيق هذه المبادئ بحذافيرها في مجال الهندسة الوراثية لأنها تمثل استخفافا و
تدخلا سافرا في خصوصية الشخص الذي سيأتي ، و ينصب هاجس " هابرماس " الأكبر
حول إذا ما استخدمت هذه التقنية لأغراض تطويرية ما ينذر بالعودة إلى الممارسات
العنصرية والإقصائية التي مارستها النازية من قبل ، فإذا علمنا انه " : حتى اليوم لم يقع
الاعتراف بصفة إنسان و بالانتماء إلى الجنس البشري بالنسبة لبعض الشعوب وما يزال
الصراع قائما من اجل مساواة تامة في الحقوق بين أجناس مختلفة في كثير من بلدان العالم
² " .و من وجهة نظر " هابرماس " فإن تحسين النسل الايجابي لا يختلف كثيرا عن
ممارسات النازية ، فهو يكرس الفوارق الطبقية بين أفراد المجتمع بدل إزالتها ، ويذهب إلى
انه و بسبب تأثير " نيتشه" ثمة هناك حفنة من المثقفين المهوسين يسعون متكهنات
بواسطة ثقل القهوة إلى تأليه" ما بعد إنسانية "تحولت إلى طبيعياً لاجتياز حائط الزمن³
وهو ما يعني أن المدافعين عن الممارسات النسالية يطمحون إلى لعب دور الله في الكون ،
وهو ما يتجلى في الممارسات النسالية بغرض الاستساخ.

¹ - حسن مصدق ، و آخرون ، يورغن هابرماس ورهانات مستقبل الطبيعة الإنسانية، ضمن كتاب : البيوتيقا ومهمة الفلسفة.

مرجع سابق ، ص 242

² - عبد العزيز العيادي : اتيقا الموت و السعادة ، دار الصامد للنشر ، نهج القيروان. تونس ، ط1 ، 2005، ص25

³ - يورغن هابرماس : مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية ، مصدر سابق ، ص31

ب/ النسالة السلبية:

فهي التي لا يرى فيها" هابرماس " أي مانع من تواجدها و استمرارها في التدخلات العلاجية ، أي تلك الممارسات التي تصبوا إلى تحقيق الأهداف و الغايات السامية التي يسعى إليها هذا العلم كتخليص البشرية من أمراضها الوراثية عن طريق تغير الشفرات الوراثية الموجودة في الأجنة ، كذلك التوصل إلى أنواع العلاج المختلفة لأمراض مستعصية كالسرطان....¹

فالممارسات التي يقدم عليها الآباء بمعية الطبيب تجاه أبنائهم تجد لها ما يبررها عندما يكون الهدف منها حماية الأطفال من الأمراض و التشوهات ، ولما كان التدخل في الخصوصية الوراثية لأي فرد يحتاج مبدئيا موافقة الفرد ذاته ، فإن" هابرماس "يرى أن " التدخل الطبي المحكوم بهدف علاجي ، سواء تعلق الأمر بمعالجة مرض أو ضمان حياة بصحة سليمة على سبيل الاحتياط ، فإن المعالج قد يفترض انه قد حصل على موافقة المريض المعالج احترازا²

وانه سوف يتقبل هذه التدخلات مستقبلا ولن يعتبرها انتقاصا من كرامته ، فهو لن يجد نفسه في يوم ما رهينة أفعال غير مسؤول عنها ، كما إن هذه التدخلات لن تحد من حريته مستقبلا ، كما لا تمنعه من بناء عالمه الخاص مستقلا ، و لن تكون هناك بينه وبين سائر البشر في فوارق.

ويتابع" هابرماس " في تحليله لتداعيات الاداتية والتشيؤ اللذين أصابا بيولوجية الإنسان، مادام إنتاج و استعمال الأجنة لأهداف البحث الطبي يزداد و يصبح عاديا، وبسبب تغير الرؤية الثقافية للحياة الإنسانية فإن الإحساس الأخلاقي بدأ يزوي و تتطفئ جمرته لفائدة

¹ - ناهده البقصمي ، الهندسة الوراثية و الأخلاق ،مرجع سابق ، ص181

² - يورغن هابرماس : مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية ، مصدر سابق ، ص 65

التمن و الربح بطريقة حسابية محضة، ولهذا يتساءل :إذا ما كان لنا الحق في أن نعرض حياة البشرية لغايات الانتقاء ؟ . بالإضافة إلى ذلك فإن هناك سؤال آخر مشابه يطرح حول الحق في استهلاك الأجنة بغية التمكن من زرع أنسجة قابلة للزرع و النقل يوما ما " وبقدر ما تتوسع أعمال الإنجاب و تصبح طبيعية وهذا إلى جانب استعمال الأجنة لغايات البحث الطبي بقدر ذلك تتحول النظرة الثقافية للحياة البشرية ما سيتبع ذلك من نتائج تشمل القضاء على حساسيتنا الأخلاقية لصالح حسابات التكاليف و الأرباح ، نكتشف حاليا المدى الذي تشكله هذه الممارسة من إخلاء بالحياء ، وبتساءل عما إذا كنا نحب الحياة في مجتمع يتكلف ممارسات نرجسية على حساب عد الحساسية تجاه أسس الحياة الطبيعية و المعيارية

"1

ويلاحظ "هابرماس" أن التقنيات الحديثة علميا خاصة تقنية التشخيص الوراثي ما قبل الزرع تخفي صراعا "يتجاذب فيه الإنسان بثُ نظرة أداتيه و نظرة ذاتية و محاولة التأقلم من ناحية، ومن ناحية أخرى عدم استعداده . أن يجد جسده في صورة إنسانية متطورة ... لكن ذلك كله لا ينبئ بالتحول الذاتي القادم للنوع الإنساني¹ ..."

وبموجب ذلك يطالب بوقف التدخلات في الجينات الإنسانية عند الحدود التي ينذر تجاوزها بتغير الخصائص الوراثية، و تحسينها ضدا على طبيعتها الأصلية، ذلك أن أي تغير في البنية العامة ينتج عنه تغير في التجربة الأخلاقية، غير أن هذه الأمنية وإن كانت ضرورية إلا أنها ترسم حدودا واضحة في مجال حدوده غير واضحة أصلا، إذ لا نعرف مطلقا الحدود التي ستتوقف عندها الهندسة الوراثية، خاصة عندما نطرح فرضية الأرحام الاصطناعية، للاستغناء عن الأرحام الطبيعية للحصول على أولاد . و لقد اخفت الهندسة الوراثية العديد من النواهي الأساسية التي في وضعها من قبل ، كالحدود الموضوعية بين

¹ - حسن مصدق، و آخرون ، يورغن هابرماس ورهانات مستقبل الطبيعة الإنسانية، ضمن كتاب : البيوانيقا ومهمة الفلسفة. مرجع

الطبيعة و الثقافة ، وبين الآلة و الجسد ، و بالتأكيد فإن الحدود الطبيعية التي دأبنا عليها منذ زمن ، و التي يتم اجتثاثها اليوم ، بسبب التقنيات الجديدة مما .يمهد أن يصيب فهم الإنسان الذاتي بدرجة أخلاقية كبرى تتبدل على إثرها معايير بحكم القوة أو الضرورة.¹

وفي هذا الباب يقر " هابرماس " بأن الكرامة الإنسانية ليست في ملكية الطبيعة، و إنما هي من وجهة نظر أخلاقية و قانونية خاضعة لعلاقات اجتماعية متبادلة ، و متشابكة ، بين أعضاء جماعة ، يسطرون بحرية جملة من المعايير و الحقوق و الواجبات المشتركة بينهم ، أي أن الأخلاق تجد جذورها في المجتمع وليس في الطبيعة ، وهو ما أدى فينظره إلى انتشار الإنسان من حيوانيته و ميزه عن الكائنات الأخرى.²

المطلب الثاني: الإجهاض

يعتبر الإجهاض من المسائل التي أثارت نقاشاً أخلاقياً واسعاً على مستويات مختلفة (الدين، القانون .)...ويكون الإقدام على هذا الفعل نتيجة لعوامل عدة ، فقد تلجأ المرأة للإجهاض نتيجة لرغبة الزوجين في إنجاب مولود ذكر ، وبالتالي العمل على إجهاض الأجنة البنات ، فلعلم اليوم مكن الزوجين من التعرف على نوع الجنين و هو في مرحله الأولى ، و ينتشر هذا النوع من الإجهاض في المجتمعات التي تعمل على تحديد النسل.

كما يلجأ لهذه العملية نتيجة لعدم رغبة الزوجين في إنجاب المزيد من الأطفال ، بالإضافة إلى ذلك قد يلجأ إليه نتيجة لاكتشاف أن الجنين سيشكل خطر على حياة الأم ، وذلك في حالة التشخيص المسبق . أو أن يولد الجنين وهو مصاب بأمراض وراثية أو تشوهات خلقية.

¹ - حسن مصدق و اخرون ، بورعن هابرماس ورهانات مستقبل الطبيعة الإنسانية، ضمن كتاب : البيواتيقا ومهمة الفلسفة.مرجع

سابق ،ص ص 243.244

² - مرجع نفسه،ص247

و التشخيص على نوعين:

تشخيص ما قبل الزرع، و تشخيص ما قبل الولادة، أما الأول فهو الذي " يسمح بإخضاع الجنين وهو ما يزال في مرحلة تكون من ثمان خلايا إلى إجراء اختياري وراثي تقديري و التصرف هذا يجري أولاً لمصلحة الأهل الذين يتمنون تحاشي خطر وجود أمراض وراثية . وإذا صحَّ وجود خطر كهذا لا يزرع الجنين الخاضع للاختبار في رحم الأم¹ ، بالإضافة إلى ذلك فإن تشخيص ما قبل الزرع بمستطاعه التنبؤ بإمكانية حدوث إجهاض في حالة الزرع وهذا من خلال " المطالبة بتشخيص ما قبل الزرع الذي بإمكانه أن يحذر من إجهاض محتمل من خلال التوصية بأن خلايا المنشأ من خارج الجسم قد لا تكون سليمة وقد ترفض² . "

هذا النوع من التشخيص من منظور " هابرماس " يتميز عن الإجهاض الذي هو رفض حمل غير مرغوب فيه لظروف عدة : (النفقة ، الرغبة ...) وهنا " يدخل حق المرأة في التقرير الذاتي في صراع مع ضرورة حماية الجنين.³ أما في حالة التشخيص ما قبل الزرع فالمسألة تتعلق بحق " الأهل الذين يضعونه في الميزان كما لو كان مُلكاً⁴ رغبة منهم في الحصول على جنين خال من التشوهات وعلى مقاسات معينة و محددة.

وحسب ما يعتقد " هابرماس " فإن النقاش الذي يدور اليوم حول مسألة الإجهاض ، هو نقاش بين قطبين اثنين ، بين من يدافع عن موقف من هم " مع الحياة "ومن يدافع عن موقف " مع الخيار "، وفي هذا الصدد يقول "هابرماس" موضحاً وجهة نظر كل من المعسكر

¹ - يورغن هابرماس : مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية ، مصدر سابق ، ص 26

² - يورغن هابرماس : مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية ، مصدر سابق ، ص 40

³ - مصدر نفسه، ص41

⁴ - مصدر نفسه، ص41

الأول والثاني": إن المعسكر المحافظ الداعي إلى حماية كلية للحياة انطلاقاً من الخلية المخصبة هو معسكر يأمل بفشل تطورات التقنية الوراثية التي يشكك فيها...¹ . باعتبار الخلية المخصبة تمثل البداية الفعلية للضرورة التطورية للكائن البشري ، وهو ما يستلزم التعامل مع الجنين باعتباره شخصاً يتمتع بالفر دانية و الاستقلالية.

أما المعسكر الثاني وهو المعسكر الليبرالي الذي ذهب إلى اعتبار الجنين وهو في مراحله الأولى ما هو إلا عبارة عن جمع للخلايا ، وهو ما يفسر أن الحياة الإنسانية ما قبل الولادة حياة خالية من أي حكم مسبق ، وبالتالي فحياة الجنين لا تتمتع بالفر دانية و الاستقلالية . وما هو إلا جزء من الأم ويمنح لها الحق في اتخاذ قرار الإجهاض من عدمه.

هكذا تطرح مسألة الإجهاض معضلة أخلاقية ، فإذا كان هناك شبه إجماع في مسألة الإجهاض عندما يتعلق الأمر بخطر يهدد حياة الأم ، فإن الخلاف ليزال قائماً في المسائل الأخرى المتعلقة برفض الحمل لأسباب أخرى لا تتعلق بصحة الأم، أي إذا كانت هناك احتمالية إن يولد المولود وهو يحمل مرض وراثي ، وهل يجوز لفتيات القصر و المغتصابات الإجهاض ، خصوصاً وان الحمل قد تم بطريقة تعسفية ومن غير إرادتهن.

ومن خلال ما قدمه " هابرماس " في محاولته الجريئة ضد هؤلاء الأقطاب قد وقع بين قطبي الرحي من خلال "دفاعه العنيد ضد هذا الفيلسوف" سلوتردايك "ذو النزعة النيتشوية الواضحة ، وبرز دعاة البيوتكنولوجي و مؤيدي التدخل في الطاقم الوراثي للإنسان بغاية تعديله إلى الأرقى و الأحسن ، وضد التيار الليبرالي المحافظ الذي يقوده " فرنسيس فوكو ياما " الذي يرفض الهندسة الجينية جملة و تفصيلاً² .

¹ - مصدر سابق، ص40

² - حسن مصدق ، و آخرون ، يورغن هابرماس ورهانات مستقبل الطبيعة الإنسانية، ضمن كتاب : البيوتيقا ومهمة الفلسفة. مرجع

و بالنسبة لـ"هابرماس" وبالرغم من توجهاته الليبرالية فهو يقر أن جميع المناقشات حول مسألة الإجهاض لم يستطيع أن تثبت أن الحياة الإنسانية ما قبل الشخصية خالية من الاعتبارات الأخلاقية ومن الأحكام المسبقة، وفي كلتا الحالتين لا يحق لنا التصرف وفق اعتباراتنا الشخصية ، حتى وإن لم تكن هناك حقوق أساسية ثابتة ومشرفة.

المبحث الثالث: مستقبل الطبيعة البشرية

لقد حاول " هابرماس " من خلال الفعل التواصلي، تحرير الإنسان من معطيات العقل الأداتي، والتشويؤ والاعتراب، والدعوة إلى أخلاق تواصلية ومن خلال هذه الأخلاق ظهرت مواقفه من موضوع البيوتيقا، حيث ظهر عنده قلق من الخلط بين الطبيعي فينا والتقني، مؤكداً على أن هناك تداعيات كثيرة طرحها التقدم العلمي والتكنولوجي في ميدان الطب و الأحياء، خاصة مع ظهور مشروع الجينوم البشري، والهندسة الوراثية وما تحمله من تطورات تقنية، كالتحسين الوراثي، والاستنساخ وزراعة الأعضاء، والاتجاه نحو تخليق إنسان متفوق وغيرها من الأبحاث، وهذه التداعيات ستواجه بشكل جيد من طرف الفلسفة، هذه الأخيرة مؤهلة أكثر من غيرها من التخصصات لتدرس نتائجها خلال قوة التحليل، وقدرة التمهيص والتأمل، والفهم العقلاني والمنهج للغاية المختفية من هذه الأبحاث يقول: " التقنيات الجديدة ستفرض علينا نقاشاً عاماً، يتناول الفهم الذي يجب تكوينه عن أشكال الحياة الثقافية، بوصفها أشكالاً ثقافية، وبالتالي فإنه ليس من أسباب وجيهة تجعل الفلاسفة يتخلّون، عن موضوع خلافي كهذا لعلماء في البيولوجيا أو لمهندسين أغرامهم العلم الوهمي"¹.

وهذا الطرح جعل بعض الدارسين يؤكدون على أن "هابرماس" شديد الاهتمام بمواصلة تقاليد الأنوار من خلال نظرية نقدية فلسفية كانطية، تسعى إلى ترسيخ قيم أخلاقية، و محاولة تخليق كل ميادين الحياة المعاصرة، بحثاً عن بناء خطاب بيوتيقا، يؤكد مشروعية الزيادة في الطلب على الأخلاق.

ومن النماذج المطروحة في هذا السياق أنّ الحياة المعاصرة تحمل كثيراً من التحولات التي حدثت، والتي ينتظر حدوثها، وهذا يجعلها تتضمن تغيرات كثيرة، جديدة، ومعقدة وتزيد تعقيداتها في ارتباطها بالخوف من المجهول، وسيمس دون أدنى مجموعة القيم

¹ -يورغن هابرماس: مستقبل الطبيعة البشرية، نحو نسالة ليبرالية، تر: جورج كتورة، المكتبة الشرقية، بيروت، ط1، 2006.

البشرية، لهذا يبدأ " هابرماس " بطرح سؤال أساسي عن آثار التقنيات الإحيائية على القيم، وهل مازالت القيم التي ورثناها عن عصر الأنوار صالحة؟¹.

وللإجابة عن هذا السؤال يتطرق "هابرماس" إلى نتائج وإفرازات التقدم العلمي والتكنولوجي في مجال أبحاث " الجينوم البشري " وفي مسائل " الوراثة " و ما يترتب عنها من نتائج خطيرة، مؤكداً على حضور مسألة معقدة، ستقضي إلى إبداع إنسان مشوه هجين، وهذا سيمتد بتأثيراته الكبيرة نحو الكيان الذاتي للإنسان²، وسينجر عنه أسئلة أخلاقية كثيرة متعلقة بالكرامة، والمسؤولية؛ ومن أمثلتها ما ذكره في قوله: " بإمكان الأولاد الذين يولدون بهذه الطريقة (طريقة التعديل الوراثي) فيما بعد مساءلة الذين رسموا خريطتهم الجينية وتحملهم مسؤولية ما ترتب عن ذلك من نتائج غير محمودة...وتتجم هذه البنية الجديدة في الاتهام بالمسؤولية عن انحاء الحدود بين الأشخاص والأشياء"³.

وفي السياق ذاته وجه " هابرماس " كثيراً من الانتقادات للذين يروجون للتقنيات الإحيائية على الخلايا البشرية، وأنصار الاستنساخ، وتعديل الطاقم الوراثي للإنسان رافضاً تداعيات الأدوات، والتشويؤ والاعتراب التي لحقت بالإنسان، وملابسات التلاعب بالكرامة البشرية، حيث تغيرت الرؤية الثقافية للحياة الإنسانية، قبل الولادة من خلال استعمال الأجنة للبحث الطبي ، وهذا أفرز في النهاية الفكرة القائلة أنّ: إحساسنا الأخلاقي بدأ يتراجع تدريجياً ، لصالح الثمن والربح⁴ "إنهم يمارسون مع هذا المنتج الذي تم التحكم فيه وراثياً شكلاً من أشكال التدخل بأخذ استعدادات تشكل تعدياً على الأسس الحيوية في العلاقة العفوية مع الذات والحرية الأخلاقية

¹ - حسن المصدق: يورغن هابرماس ورهانات مستقبل الطبيعة الإنسانية، النظرية التواصلية في مواجهة قضايا تحسين النسل، والولادة المبرمجة والاستنساخ، مقال ضمن كتاب جماعي بعنوان: البيوتيقا والمهمة الفلسفية، أخلاق البيولوجيا ورهانات التقنية، الرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة، منشورات ضفاف، بيروت، ط1، 2014، ص 240.

² - يورغن هابرماس: مستقبل الطبيعة البشرية، مصدر سابق ، ص20.

³ - المصدر نفسه، ص21، 22

⁴ - حسن المصدق: المرجع السابق، ص242.

لشخص آخر، إنّه تعدّ مهما كان الحكم عليه، فهو لم يمارس حتى الآن إلا على الأشياء لا على الأشخاص¹.

وفي الأخير لا ينبغي أن نفهم من الخطاب البوتيقي عند " هابرماس " الوقوف في وجه التقدم العلمي والتكنولوجي، والنظرة السلبية لمنجزات الثورة البيوتكنولوجي، بل لا يتردد في مدحه وإشادته بالقيم العلمية التي حققها علم الوراثة، لكن ينتقد استعمالاته لغايات لا أخلاقية، وبدو أن هذا الخطاب لا يزال يدور في فلك الإرث النقدي لمدرسة فرانكفورت حاملا بين طياته الحذر من هيمنة الدول الليبرالية على تحديد النسل والتلاعب به مما يحدّ من حرية الإنسان التي يجب احترامها².

ولقد انتبه " هابر ماس " إلى التطورات الأخيرة في ميدان التقنية الحيوية والبحوث الجينية، التي أثارت كثيرا من التساؤلات الأخلاقية المعقدة المتعلقة، بنطاق المشروعية وحدود التدخل في الجينوم البشري، بهدف منع الأمراض وعلاجها، وهذا ما سماه " اللعب في مخلوقات الله " وقد حاول في النهاية الربط بين فلسفة الأخلاق التطبيقية ومجال التقنية الحيوية والجينية³.

¹ - يورغن هابرماس: مستقبل الطبيعة البشرية، المصدر السابق ، ص 20.

² - عامر عبد زايد الوالي: البيوتيقا والتقنية والتحويلات المعاصرة، مجلة الاستغراب، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، بيروت، العدد 15، 2019، ص 228.

³ - أسماء حسين ملكاوي: أخلاقيات التواصل في العصر الرقمي، هابرماس أنموذجا، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، ط1، 2017، ص 54.

المبحث الرابع: التفكير ضد هابرماس

لقد تعرّضت أفكار " هابر ماس " في السياق البيوتريقي إلى انتقادات لاذعة، جعلت صاحب S.Edic بعضهم يصفه بالمنغلق على غربيته، من بينهم مواطنه "ستولز إديك" كتاب " قواعد لحظيرة بشرية- نحو إنسان جديد" الذي يدافع عن برنامج تحسين النسل دفاعا قويا، رافضا الاستسلام للطبيعة البيولوجية، ويدعو إلى ضرورة الابتعاد عن الصدفة في عملية الإنجاب، والدعوة الصريحة إلى تقوية قدرات البشر بالاعتماد على الطب وعلوم Anne Fagot- الحياة¹، وهذا الانغلاق ترجمته الفيل سوفة " أن فاقو -لأرجو" في حوار بعنوان : "البيوتيقا سلطة التقنية وتنافر القيم" حيث تقول : "يعتقد Largeault أن التحوير الجيني، لكائن بشري لم يولد بعد هو بمثابة التأثير في مسار حياة بأكمله، بما لا يترك لهذا الكائن أي مجال للاختيار، سيصبح دمية تحركها أيادي من صنعوه، وهو ما يعده "هابر ماس" نوعا من العبودية، ومن وجهة نظري فإن هذا التحليل وإن كان موثقا إلا أنه يشهد على إنكار للوضعيات الحقيقية"²، ثم تواصل هذه الفيلسوفة في ذكر مجموعة من الوضعيات التي تؤكد محدودية الطرح الهابر ماسي في سياق أبحاث الجينوم البشري، وخاصة تحسين النسل الذي ركز عليه كثيرا، تواصل قائلة: "يتمتع الأطفال بحقوق تضبطها نصوص دولية ووطنية، وهذا تقدم، لست متأكدة من أنه ينبغي التنصيص في هذه النصوص على إنجاب طفل بالاستنساخ، هو تعدّد على حقوقه الأساسية، ولا أيضا من أن علاجا جينيا هو انتهاك لحقوقهم الأساسية، وعلى افتراض أننا سنصبح غدا قادرين بعد التشخيص ما قبل الولادة أو ما قبل الزرع على التدخل لإصلاح تشوه خلقي ، سيكون على حرية الطفل أن تتشكل على هذا لأساس، هل سيكون الطفل أقل حرية إذا منحناه من خلال عملية جينية عنصرا وراثيا يقاوم السيدا"³ ، إن هذه الفيلسوفة تحاول أن تلفت الأنظار نحو إجابيات هذه العملية، وما لها من صدى عميق في مقاومة كثير من الأمراض، ومحاولة

¹ - خن جمال: إشكالية الحداثة والفعل الفلسفي في الفكر الغربي المعاصر، هابرماس أنموذجا، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الفلسفة، إشراف: عبد اللاوي عبد الله، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران 2016-2017 ص 244، 245.

² - نقلا عن عامر عبد زايد الوالي: تجليات العقلانية"الدين و الأخلاق و التربية"، المرجع السابق ، ص 231

³ - عامر عبد زايد الوالي: المرجع نفسه، تجليات العقلانية"الدين و الأخلاق و التربية"، ص 231.

إثارة الشكوك من خلال تنبؤات خاطئة، مدعاة للتفاهة أو كما تعبر عنه بقولها: "...أما فيما يخص الفكرة القائلة بأن من الممكن برمجة سلوك كائن بشري عن طريق عملية جينية؛ فهي فكرة ساذجة، لأنّ الشروط الاجتماعية والتربوية والدينية أكثر حتمية من ذلك بكثير"¹. بل وإنّ هناك من انتقد هذا الفيلسوف من خلال وقوعه في المتناقضات، في سياق طرحه للعلاقة بين العلم والأخلاق، حيث أراد أن يكشف الشكل الإيديولوجي الذي اتخذته العلم، من خلال مخلفات الوضعية، من أجل التحرر من السيطرة القائمة على الطبيعة والإنسان، ولكن في مقابل ذلك يعتقد أنّ منجزات العلم والتكنولوجيا لا يمكننا الاستغناء عنها، حتى لو اعتبرناها نوعا خاصا من المشروع التاريخي الذي برز فيه الغرب الرأسمالي محاولات تحقيق منافع خاصة، وهذا يقضي على حقيقة هامة، وهي أنّ المجتمعات الحديثة المتقدمة والمتطورة تعتمد على التحكم التقني بطريقة كبيرة ومعقدة، يصعب تجاوزها².

¹ - المرجع السابق، ص 232

² - ألن هاو: النظرية النقدية، مدرسة فرانكفورت، تر: ثائر ذيب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2010، ص 86.

خاتمة

نقول في ختام بحثنا :أنه إذا كانت الفلسفة تهتم بثلاثة مباحث أساسية هي : مبحث الوجود، والمعرفة، والأخلاق، فإن هذا الأخير (مبحث الأخلاق)والذي يعتبر موضوع بحثنا جزء منه، بحاجة إلى نقلة نوعية تجنبنا تلك الأحكام القبلية والجاهزة، أخلاق جديدة نتقلنا من الكم إلى الكيف، من القول والنظر، إلى العمل والفعل.

وهذا يحيلنا إلى قناعة أخرى وهي :أن الفلسفة وإذا ما أرادت أن تحافظ على مكانتها ما عليها سوى أن تهتم باليومي وأن تتعايش معه و تفكر انطلاقا منه، فهذا الأخير(الواقع اليومي)بات بفضل التقنية، يقدم مواضيع جديدة للتفكير لم تكن مطروحة من قبل، والهندسة الوراثية واحدة من هاته المواضيع.

فالتقنية اليوم لم تكتفي بالسيطرة على الطبيعة الخارجية، وإنما تعدتها إلى الطبيعة الداخلية للإنسان ذلك الجزء " المقدس "فينا لم يسلم هو الآخر من التدخلات التقنية، والخوف يكمن في نظر " هابر ماس " من إمكانية إحداث تغيرات جذرية في الطبيعة الجوهرية للإنسان.

هاته الإمكانية متاحة في ظل مجتمعات ليبرالية تقدر الحرية الفردية، وتعطي للأفراد حق التصرف في حياتهم الشخصية، وفي اتخاذ القرار الذي يرون أنه الأنسب لهم، حتى بالنسبة لتلك المواضيع التي كانت تبدو من قريب أنها محسومة القرار وغير قابلة للنقاش، كمواضيع الإجهاض، والموت الرحيم، والتبرع بالأعضاء، والممارسات النسالية.

ورأينا كيف أن موقف " هابر ماس "من هاته الممارسات النسالية، يتحدد انطلاقا من الأهداف والغايات التي تصبوا إليها، فإن كانت تصبوا لغايات عيادية علاجية،كتدارك الإصابة ببعض الأمراض الوراثية، أو معالجة بعض التشوهات الخلقية، فإن " هابر ماس "لا يرى مانع من اللجوء إليها، أما إن كان الغرض منها يحمل صبغة تطويرية كالرغبة في الحصول على أبناء بمواصفات كاملة، فإن " هابر ماس "يرفض هكذا ممارسات ويدعوا إلى حظرها ومنعها.

هذا الرفض نابع من كون هاته التدخلات الوراثية تستخف بالكائن البشري، كما أن لها تبعات مستقبلية على الشخص الذي تمت برمجته وراثيا، فهو يستشعر أنه يعيش حياة غير طبيعية، وأن هناك جسم غريب أدمج في منظومته الطبيعية، مما يجعله رهين أفعال لم يستشر فيها، وهو ما يجعله يفتقد إلى المسؤولية والقدرة على اتخاذ القرار، ومن ثم عدم القدرة على الاندماج الاجتماعي مع أشخاص آخرين لم تتم برمجتهم وراثيا.

وإذا كانت الحياة الإنسانية ما قبل الولادة هي ليست الحياة الإنسانية بعد الولادة، فإنه بالنسبة "لهابر ماس" ليس معناه أن نعتبر الحياة الإنسانية ما قبل الولادة، خالية من أي اعتبارات أخلاقية، مما يعطينا الحق في التصرف فيها على هوانا، فالحياة الإنسانية ما قبل الولادة تستحق الكرامة، وهذا ما عمل "هابر ماس" على تبيان، وذلك لما عمل على التأسيس لأخلاق الجنس البشري، وهذا من خلال دمج الأخلاق في النوع الإنساني، مما يعني أن الجنين البشري بالنسبة لهابر ماس حتى وهو في حالاته المهملة، له علينا حقوق وجب احترامها وحمايتها حماية قانونية.

هذا التأسيس للأخلاق لا يرتبط بالنسبة "لهابر ماس" بأي مرجعية ثابتة، وإنما يتأسس على التواصل الخالي من أي املاءات مسبقة، وذلك عن طريق فتح نقاش تشترك فيه جميع الذوات القادرة على التشريع.

هذا النقاش الأخلاقي يتجسد في كنف دولة ديمقراطية دستورية، توفر الحقوق والفرص المتساوية، لكافة المواطنين المتواجدين على أرضها، فهي بهذا لا تتحاز إلى فئة على حساب أخرى، وإنما تقف موقف الحياد، وتكفل للجميع حرية إبداء الرأي.

وبين كونية العلوم وخصوصية الثقافة والأخلاق، يدعونا "هابر ماس" إلى الاستناد على أرضية جديدة للأخلاق تجنبنا تلك الأحكام الدوغمائية، وتعمل على تقريب وجهات النظر على أساس منطق الحجة الأقوى، التي تصمد أمام الممارسات النقدية.

هاته الأرضية هي الأرضية التواصلية، والتي استند إليها "هابر ماس" ليرافع بها عن العقل وقيمه، وكذا قدرته على التشريع من دون الرجوع إلى سلطة أخرى وهذا وفق المعادلة التالية:

التواصل — الحوار — الحجة — فض النزاع — الإندماج (التوافق) — التشريع

كما رأينا أن موقف "هابرماس" من الممارسات النسالية، لا ينبغي النظر إليه على أنه مقاومة صماء للحدثة، وإنما هو موقف يتحدد انطلاقاً من طبيعة هاته الممارسات، وكذا الغايات المبتغاة منها، وكذا ردة فعل الشخص الذي عدلت سماته الوراثية، ثم العلاقة التي ستكون بينه وبين الشخص الطبيعي.

كما بينا كيف أن الأخلاق لا ينبغي لها أن تبقى حبيسة الحلقة الضيقة (مركزية الإنسان) بقدر ما يجب أن تشمل كل ذات حس بل حتى "الجماد"، مما يعني أن المسؤولية اليوم ليست مسؤولية الإنسان تجاه الإنسان حاضراً ومستقبلاً، وإنما مسؤولية الإنسان تجاه الكون ككل في الحاضر والمستقبل.

والحقيقة أنه لا بد من تضافر جهود الجميع، فلا المشتغلين على الفلسفة بمستطاعهم وحدهم إيجاد الحلول لأزمات المجتمع، ولا بمقدور رجل الدين، أو الاقتصادي، وحتى السياسي، أن يستأثر بالقرار، فالذي نحن بحاجة إليه اليوم ليس مزيد من التهميش، أو إقصاء طر على حساب الآخر، وإنما بتعبير "هابرماس" خلق فضاء جديد يكرس ثقافة الحوار، والتواصل، والاعتراف المتبادل، وكذا الحب، والحق، والتضامن، بين ميادين الفكر المتعددة، فما أحوجنا اليوم إلى لجان مشتركة، تعمل على إيجاد الحلول للإشكالات المتعددة والمتجددة للتقنية.

فقطار العلم بات اليوم يسير بسرعة خيالية، أما نحن فقد خدعنا بلذة المناسبات العابرة، ووقفنا وقفة المتفرج في كل شيء، - فغرقنا في وحل ظلمات الجهل والفقر وسفك الدماء - فتارة تتبهر أعيننا بإنجاز هذا المعسكر وتارة أخرى بذلك الذي يخالفه، وطائفة منا تميل وتستجد بهذا المعسكر وأخرى بذلك، بينما كان الأخرى بنا أن نؤسس بإرادتنا لحدثة خصبة وغنية، وبدل من إضفاء الصفة الأخلاقية من عدمها على منجزات الآخر، كان من الأجدر بنا أن نساير هاته المنجزات ونستفيد منها.

الملاحق

يورغن هابرماس J. Habermas

ولد يورغن هابرماس في سنة 1929 ، بمدينة دوسلدورف بألمانيا، زاول دراسته العليا في جامعات غوتنغن (1949- 1950) ، زيوريخ (1950 - 1951) ، وبون(1951-1954). عين سنة 1956 مساعدا لتيودور أدورنو في معهد الأبحاث الاجتماعية الشهير بفرانكفورت، وقد كان اهتمامه طيلة فترة تواجده بالمعهد مرتبط بالفلسفة، غير أنه بدأ يميل بعد ذلك إلى الاهتمام بالنظرية الاجتماعية خاصة بعد احتكاكه بكتابات "لوكاش" حول التاريخ والوعي الطبقي "وكذا هوركهايمر /أدورنو حول" جدلية العقل"، ثم لم يلبث بعدها أن تحول إلى كلية علم الاجتماع، خاصة حول البحث الذي اشرف على إخراجه في غطار المعهد حول "الوعي السياسي للطلبة"، غادر "هابرماس" معهد الأبحاث الاجتماعية في سنة 1959 ليتفرغ لرسالته التي ناقشها في جامعة "ماربورغ" سنة 1961 م، تحت عنوان "التحولات البنيوية للفضاء العمومي ."

كما أننا نجد أن حياة" هابرماس " الفكرية مرت بمرحلتين:

المرحلة الأولى : اشتغل فيها على نقد الفكر الوضعي الذي ساد في الغرب مع تطور ونضج النظام الرأسمالي، وتطور البحوث التكنولوجية، واستغلال هذا الفكر لعقلانية حركة التنوير ونزوعها لتحقيق الحرية والعدل.

المرحلة الثانية :اهتم فيها ببناء نظرية اجتماعية، تقوم على تأسيس حركة تنويرية جديدة، أو استكمال الأولى وصياغة عقلانية تستهل بالمنجزات العصرية لعلوم الطبيعة والعلوم الاجتماعية، وخاصة علم الاجتماع، علوم اللغة والاتصال، وعلم النفس التربوي التطوري، بهدف إعادة فتح الطريق أمام الخلاص أو الحرية والعدل الذي حلم الفلاسفة

الملاحق

التنوير، والذي لم ينجح بسبب السقوط في الهيمنة واستغلال الرأسمالية للعلم،¹ وهو ما بينه "هابرماس" في مؤلفاته الأولى وهي:

- التحول البنيوي للمجال العام 1962

- النظرية والممارسة 1963

- حول منطق العلوم الاجتماعية 1970

- المعرفة والاهتمامات الإنسانية 1971

وفي المرحلة الثانية أيضا وضع "هابرماس" كتبه التي صاغ فيها فكره الخاص، بعد أن كان قد تمكن من التخلص من الماركسية التقليدية من جانب ومن تأثير أساتذته "أدورنو" و "هوركهايمر" بالذات من جانب آخر، وأسس علاقته بكل من منجزات العلوم المعاصرة، وأكد مكانته باعتباره المدافع الرئيسي عن "العقل التنويري" كأساس للحدثة وما بعدها، وظهر هذا في مؤلفه "أزمة الشرعية 1973 م. ثم تلاه بمؤلف آخر هو "الاتصال ونشوء المجتمع" 1976 م، حيث أكمل فيه صياغة الفكرة التي تتناول الاتصال بكل أنواعه كأداة لبناء المعرفة وليست مجرد تبادل لهذه المعرفة.

أصدر "هابرماس" مجلدين كبيرين "نظرية الفعل الاتصالي" عام 1981 م ولديه عدة مؤلفات أخرى منها:

- المعرفة والمصلحة 1965

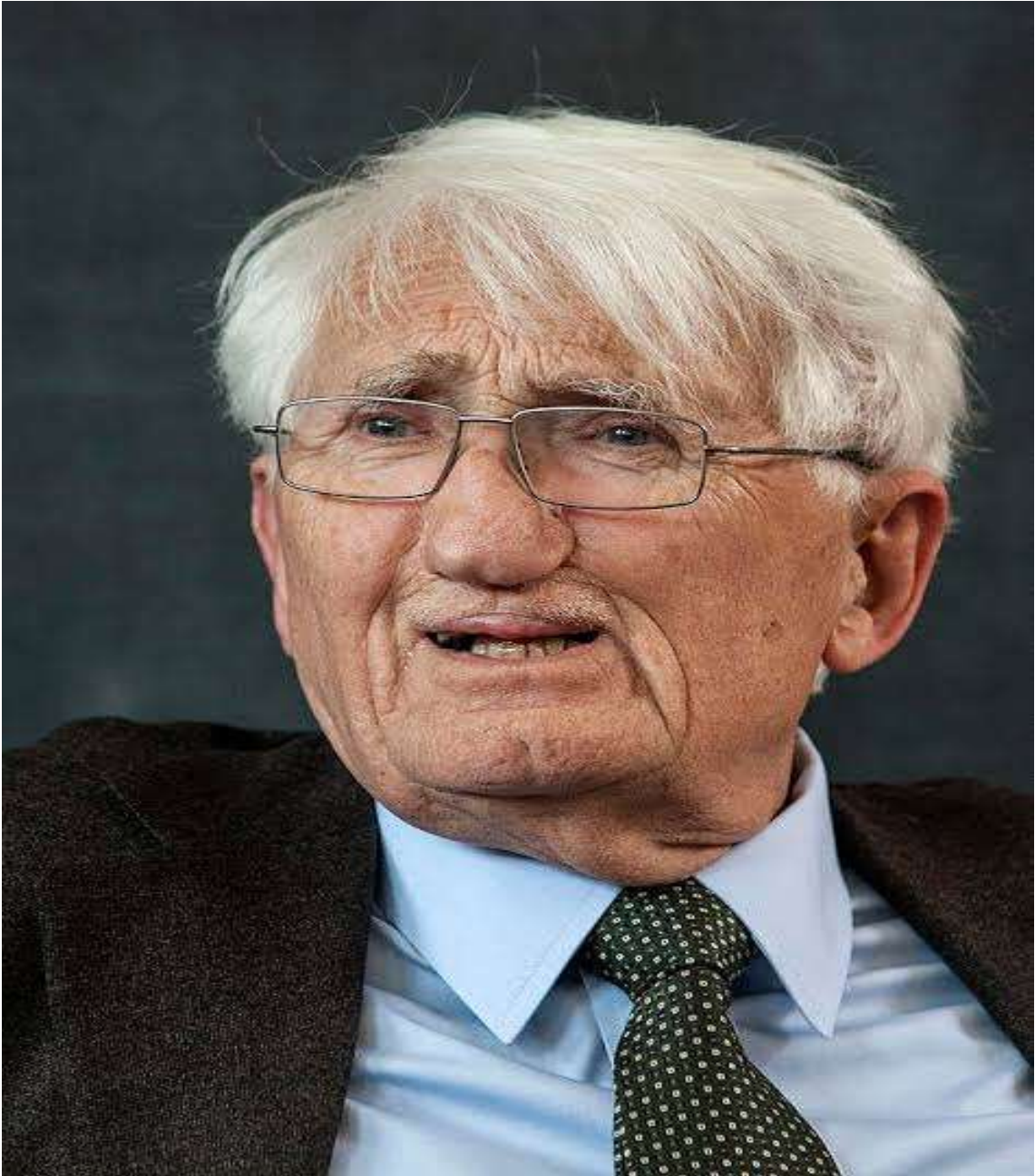
- العلم والتقنية باعتبارها إيديولوجيا 1968 م.

- الأخلاق التواصلية 1983 م.²

يعتبر إنجاز "هابرماس" الفكري الأساسي هو تطوير مفهوم ونظرية "العقل الاتصالي" التي تتميز عن التراث العقلاني الأوربي بوضع العقلانية هيكل الاتصال اللغوي بين الأفراد، وليس في هيكل كوني الفاعل فيه هو الإنسان العارف.

¹توم بوتومور، مدرسة فرانكفورت، تر: سعد هجرس، مر: محمد حافظ دياب، دار أوياء، الطبعة الثانية، 2004، ص160

²جون فرانسوا دورتييه، معجم العلوم الإنسانية، معجم سابق، ص1088



قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر:

1. يورغن هابرماس، القول الفلسفي للحدثة، تر:فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، سورية دمشق، د ط.
2. يورغن هابرماس، العلم والتقنية كإيدولوجيا، تر:حسن صقر، منشورات الجمل، ط الأولى كولونيا ألمانيا 2003
3. يورغن هابرماس، الفلسفة الألمانية والتصوف اليهودي، تر: نظير جاهل، المركز الثقافي العربي، ط: الأولى، 1995
4. يورغن هابرماس، مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية، تر: جورج كتوره، مر: أنطوان الهاشم، المكتبة الشرقية بيروت، ط: الأولى 2001
5. يورغن هابرماس، اتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة، ترجمة وتقديم، عمر مهيبيل، منشورات الاختلاف،الدار العربية .للعلوم ناشرون، ط: الأولى 2010
6. يورغن هابرماس، جوزيف راستينغر، جدلية العلمنة، العقل والدين، تعرب وتقديم، حميد لشهو، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، الكويت، ط: الأولى يناير 2003

المصادر باللغة الأجنبية:

- 1-Jürgen Habermas, La Pensée Post métaphysique ,Armond Colin, Paris, 1993
- 2 -Habermas, Vérité et justification ,Tr; Rainer Rochiez et Christian Bouchindhomme, Gallimard, 2001

قائمة المصادر والمراجع

3-Habermas, Morale et communication: conscience morale et activité communicationnelle, Tr ; Flammarion, 1986.

4-Habermas , J ;droit et démocratie ;entre faits et normes ,tr , rainer rochiez ,et christianbouchindhomme 1997.

5-J. Habermas. – De l'éthique de la discussion , tr. mark Hunadi.-ed flamarion ,1992

قائمة المراجع:

1. أبو النور حمدي أبو النور حسن : يورعن هابرماس الأخلاق و التواصل،التنوير للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان، ط 1، 2012
2. أبو زيد شلبي: تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي ،مكتبة وهبة ،القاهرة.
- 3 . احمد عبد الحليم عطية: جالينوس في الفكر القديم والمعاصر ،دار أنباء،القاهرة،1999
- 4 . احمد محمود صبحي،محمود فهمي زيدان: في فلسفة الطب ،ط1 ،دار النهضة العربية ، بيروت،1993
- 5 . ألن ها : النظرية النقدية و مدرسة فرانكفورت ، تائر ديب ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة مصر ، ط1، 2010
- 6 . أنطونيس كرم: العرب أمام تحديات التكنولوجيا ،عالم المعرفة ،الكويت، ط1، 1982
7. أفاية محمد نور الدين،الحدائثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة،إفريقيا الشرق،ط2،الدار البيضاء،. 1998
- 8.ايمانويل كانط، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، ترجمة وتقديم :عبد الغفار مكاوي، مراجعة عبد الرحمان بدوي، . منشورات الجمل، ط2 ، كولونيا، ألمانيا 2002
9. أنطونيوس كرم :العرب أمام تحديات التكنولوجيا ،عالم المعرفة،الكويت ،ط1،1982

قائمة المصادر والمراجع

10. الأشهب محمد عبد السلام، أخلاقيات المناقشة في فلسفة التواصل لهابر ماس، دار الورد الأردنية، ط1، 2013، 1.
11. برتراند راسل : النظرة العلمية ، ترجمة عثمان نويه دار المدى للثقافة و النشر ، دمشق سورية ، ط1 ، 2008.
12. جان شارل سورينا ، تاريخ الطب ، ت إبراهيم الحياتي المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، 2002.
13. جورج سارطون: تاريخ العلم، ت، جورج حداد وآخرون، ج2، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط2010، 1.
14. جوزيف عبود كبة، عباقرة العلم في علم الحياة و الطب ، دار الشرق العربي، بيروت
15. جوزيف معلوف ، المسألة الأخلاقية في العلوم الطبية، المكتبة البوليسية، لبنان ، 2005.
16. جيمس جوردون فبيلسون، يور جين هابرماس، مقدمة قصيرة جدا، تر أحمد الروبي، دار هنداي، ط1 ، القاهرة، 2015.
17. جاكليين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، تر، عادل العواويدات للنشر، بيروت
18. جون وستين، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلمات، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق.
19. حسن مصدق : يورغن هابرماس و مدرسة فرانكفورت النظرية النقدية التواصلية ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء. المغرب ، ط1 ، 2005.
20. حسن مصدق، يورغن هابرماس ورهانات مستقبل الطبيعة الإنسانية، ضمن كتاب : البيواتيقا ومهمة الفلسفة.
21. سالم يفوت: المناحي الجديدة للفكر الفلسفي المعاصر، دار الطليعة ، بيروت لبنان ، ط1999، 1.

قائمة المصادر والمراجع

22. سيرا فينا كومو: التقنية و الثقافة في العصور القديمة ، ترجمة مصطفى قاسم ،هيئة أبو ظبي للسياحة و الثقافة ، الإمارات العربية المتحدة ، ط1 ، 2012،
23. سيد حسن نصره:العلوم في الإسلام، ط1 ، دار الجنوب للنشر، تونس، 1978
23. عاطف محمد: علم أعلام الطب. ابن سينا ،ط1، دار اللطائف ،القاهرة ، 2003
24. عبدا لرزاق بلعقزوز، تحولات الفكر الفلسفي المعاصر، منشورات الاختلاف
25. عبداللوي الناصر ،التواصل والحوار في أخلاقيات المناقشة في الفكر الفلسفي المعاصر، دار الحوار، ط 1 بيروت، 2013 .
26. عزت قرني: الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون ، جامعة الكويت ، ط1، 1993
27. علي عبود المحمداوي :الإشكالية السياسية للحدثة، منشورات الضفاف، تونس، ط1، 2015.
28. عيسى اسكندر المعلوف، تاريخ الطب عند الأمم القديمة والحديثة ،ط1، مؤسسة هندايو للتعليم والثقافة ،القاهرة ،2012.
29. عطيات أبو السعود، الحصاد الفلسفي للقرن 02 ، منشأة المعارف الإسكندرية، (د ط.)
30. عمر بوفتاس، البيواتيقا، الأخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجي
31. فوكوياما، مستقبلنا بعد البشري، عواقب ثورة التقنية الحيوية، تر :إيهاب عبد الرحيم محمد، مركز الإمارات، . للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ط1، 2006
32. فؤاد زكريا : التفكير العلمي ، عالم المعرفة ، الكويت ، ط1، 1978
33. فوزية علوان ،سلمى برحاييل: قراءة القراءة في الأخلاق العربية عبد الحلیم عطية نموذجاً ،كرسي اليونسكو للفلسفة ،جامعة الزقازيق.
34. كمال بومنير : النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت ، منشورات الاختلاف ، الجزائر، ط1، 2010

قائمة المصادر والمراجع

35. مارتن هيدغر : التقنية الحقيقة الوجود ، ترجمة محمد سبيلا ، و عبد الهادي مفتاح ، المركز الثقافي ، بيروت لبنان ، (د ، ط) ، (د ، ت .)
36. محمد نور الدين افاية : الحداثة و التواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة نموذج هابرماس ، افر يفيا الشرق المغرب ، ط 1998، 2.
37. محمد شوقي الزين، الثقاف في الأزمنة العجاف، منشورات :الاختلاف الجزائر، ط2014، 1.
38. مونيس بخضرة، تاريخ الوعي، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، ط2011، 1 .
39. ناهدة البقصي : الهندسة الوراثية و الأخلاق ، عالم المعرفة ، الكويت ، ط1993، 1
40. هيربرت ماركيز : الإنسان ذو البعد الواحد ، ترجمة جورج طرابيشي ، منشورات دار الأدب ، بيروت لبنان ، ط 3، 1988
41. هنري هودغر :التقنية في العالم القديم ، ت رنده قاقيش ،الدار العربية للتوزيع والنشر ،عمان ، 1981.
42. يمني طريف الخولي : فلسفة العلم في القرن العشرين ، عالم المعرفة ، ط1، 2000.

ثالثا المعاجم:

1. إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي ،الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983
2. جميل صليبا : المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1986
3. جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة ، ط3 ، دار الطليعة ، بيروت ، 2002.

رابعا الموسوعات:

1. أندري لالاند :موسوعة لالاند للفلسفة منشورات عويدات،المجلد الأول، ط1 ،بيروت، 2001.

قائمة المصادر والمراجع

2. زكي نجيب محمود، الموسوعة الفلسفية المختصرة، دار العلم، بيروت - لبنان.

خامسا المجالات:

- 1 . مجلة أوراق فلسفية ،العدد السادس والثلاثون،القاهرة،2003
2. أوراق فلسفية، العدد 23
3. أوراق فلسفية، العدد 27
4. عبد الغفار مكايي :حوليات كلية الأدب " النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت،مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الحولية 13 ، الرسالة 28 ، 1993
4. نور الدين شيخ عبيد : التقانة مقارنة ثقافية و اجتماعية ، العدد الأول ، المجلد 4 ، عالم الفكر ، الكويت يوليو / سبتمبر 2011
5. محمد بهاوي، في فلسفة الغير، نصوص فلسفية مختارة و مترجمة، أفريقيا الشرق، ط الثانية.

سادسا الرسائل الجامعية:

1. الشيخ إبراهيم مصطفى : النقد السياسي لجدلية التقنية لدى فلاسفة فرانكفورت : ماركيز ،هابرماس ، نموذجين ، . مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة ، جامعة وهران 2 الجزائر، السنة الدراسية 2015.2016
- 2.رشيد دحدوح: تاريخ وفلسفة العلوم البيولوجية والطبية عند جورج كانغيلهم ،أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الفلسفة ،جامعة منتوري ،قسنطينة ،2005. 2006
- 3.صباح قارة : إشكالية بشيء الإنسان في الحداثة الغربية من منظور عبد الوهاب المسيري ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة . الماجستير في الأدب العربي ، جامعة فرحات عباس ، سطيف الجزائر ، السنة الدراسية 2012. 2014.

فهرس المواضيع

البسمة

الإهداء

شكر وتقدير

مقدمة

01

الفصل الأول: البيوتيقا بين المفهوم و التطور الكرونولوجي

02

المبحث الأول : مفهوم التقنية و البيوتيقا

02

المطلب الأول : مفهوم التقنية

07

المطلب الثاني : مفهوم البيوتيقا

09

المبحث الثاني :التطور الكرونولوجي للمصطلحين

09

المطلب الأول: تطور التقنية

20

المطلب الثاني : تطور البيوتيقا

31

المبحث الثالث: تطبيقات الثورة التكنولوجية

33

المطلب الأول : الهندسة الوراثية

34

المطلب الثاني: علم الأجنة و تقنيات الإنجاب الحديثة

39

الفصل الثاني : الفلسفة الأخلاقية عند ها برماس

40

المبحث الأول: الحوار و التواصل في أخلاقيات النقاش

42

المطلب الأول: الخطاب الأخلاقي وشروط صحته

46

المطلب الثاني: الخطاب الأخلاقي و أولوية الخلقى على الأخلاقي

48

المطلب الثالث: وظيفة الخطاب الأخلاقي

52

المبحث الثاني :هابرماس والتأسيس لأخلاق الجنس البشري

53

المطلب الأول: تهذيب الطبيعة البشرية

55

المطلب الثاني:أخلاق الجنس البشري

59	المبحث الثالث: التواصل والأخلاق
60	المطلب الأول: أهمية التواصل
66	المطلب الثاني: أخلاق القانون
69	الفصل الثالث : من الأخلاق إلى البيواتيقا عند هابرماس
70	المبحث الأول : هابرماس و سؤال التقنية
71	المطلب الأول: المعرفة والمصلحة
74	المطلب الثاني : من العقلانية الأداة إلى التواصلية
75	المطلب الثالث : نقد العقلانية الأداة
79	المبحث الثاني : علاقة التقنية بالبيواتيقا
82	المطلب الأول: الإنجاب
88	المطلب الثاني: الإجهاض
92	المبحث الثالث: مستقبل الطبيعة البشرية
96	المبحث الرابع : التفكير ضد هابرماس
99	خاتمة
103	الملاحق
107	قائمة المراجع والمصادر
114	فهرس المواضيع

المخلص

تعتبر " البيواتيقا" من أهم مباحث الفلسفة التطبيقية في العصر الراهن، و هو المبحث الذي استطاع أن يفرض نفسه في ظل السيطرة الكبيرة للتقنية، هذه الأخيرة التي استطاعت أن تلقي بضلالها على كثير من المجالات، من بينها مجال الطب و البيولوجيا الذي يمكن اعتباره أكثر المجالات حضورا منذ النصف الثاني من القرن العشرين ،حيث شهد ثورة سميت "الثورة البيوتكنولوجية" ، التي جاءت تحمل معها آفاقا جديدة للبشرية ، في مقابل ذلك أثارت مجموعة من المشكلات الأخلاقية ، جعلت الإنسان يعيش حالة اغتراب شديدة ، اتجاه ذاته و اتجاه الآخرين ، و هو ما أثار انتباه الفلاسفة في هذا العصر على غرار الفيلسوف الألماني الشهير "يورغن هابر ماس" الذي قدم مجموعة من الأفكار تمركزت حول نقد العقل التقني ، و تبني تصورات بديلة قامت على نظرية أخلاقية تواصلية.

الكلمات المفتاحية : البيواتيقا ، التقنية ، الأخلاق ، التواصل ، العلم و القيم.

اللغة الإنجليزية:

Bioethics is one of the most important investigations of applied philosophy in the present era, research that was able to impose itself under the great control of technology , the latter, which was able to mislead many areas, including the field of medicine and biology, which can be considered the most present since the second half of the twentieth century, where it witnessed a revolution called the " biotechnological revolution" , in contrast, it raised a range of morale problems ,which brought to the attention of philosophers of this era , such as the famous German philosopher **jurgen Habermas** , who presented a set of ideas focused on criticism of the technical mind , and adopted alternative perceptions based on a communicative moral theory.

Keywords: bioethics, technology, ethics, communication, science and values.

اللغة الفرنسية:

La bioéthique est l'une des recherches les plus importantes de la philosophie appliquée à l'époque actuelle, une recherche qui s'impose sous le grand contrôle de technologie, cette dernière, qui a induit en erreur de nombreux, y compris le domaine de la médecine et de la biologie, qui peut être considéré comme le plus présent depuis la seconde moitié de XXe siècle, ou il a été témoin d'une révolution "révolution biotechnologique". En revanche, il a soulevé une série de problèmes moraux, qui ont attiré l'attention des philosophes de cette époque, tels que le célèbre allemand **Jürgen Habermas**, qui a présenté un ensemble d'idées axées sur la critique de l'esprit technique et a adopté des perceptions alternatives basées sur une théorie morale communicative.

Mots-clés: La bioéthique, technologie, éthique, communication, science et valeurs.

